INSTITUT
DU MONDE
ARABE

معهد العالم العربي

كرسي المعهد

King Faisal
PRIZE

موريس بوكاي

MAURICE BUCAILLE

محمد عبدالله الشرقاوي

100 كتاب وكتاب
25

موريس بوكاي

الكتاب : موريس بوكاي
المؤلف : **محمد عبدالله الشرقاوي**
الطبعة : الأولى 2021
عدد الصفحات : 128
القياس : 13 × 19
الإيداع القانوني : 2021MO2342
الترقيم الدولي : 978-9920-627-94-8

جميع الحقوق محفوظة

المركز الثقافي للكتاب

الدار البيضاء / المغرب
6، زنقة التيكر
هاتف : 212522810406+
فاكس : 212522810407+
markazkitab@gmail.com

بيروت / لبنان
الحمراء ـ شارع المقدسي ـ بناء بلبيسي
هاتف : 9611747422+
فاكس : 9611744733+

INSTITUT DU MONDE ARABE

معهد العالم العربي

كرسي المعهد

King Faisal PRIZE

موريس بوكاي

محمد عبدالله الشرقاوي

المركز الثقافي للكتاب
للنشر والتوزيع

المحتويات

عتبة..... 7
مقدمة 9
موريس بوكاي: حياته وإنجازاته 11
بوكاي: الغرب والشرق (عداوات الأمس يجب أن تزول اليوم) 16
التجهيل المتعمد بالإسلام 21
المنجز العلمي للدكتور بوكاي 30
الكتاب الظاهرة 35
القرآن والعلوم الحديثة 38
تفسيره للخصومة بين العلم والدين في الغرب 41
الأسس المنهجية لدراسته للقرآن 44
نماذج لتأملاته في القرآن 47
محاضرته الاستثنائية في أكاديمية الطب الفرنسية 56
بوكاي مع الفراعنة: من باريس إلى القاهرة، ومن القاهرة
إلى باريس 61
موريس والفرعون 75
موريس وهامان 86
نقده لنظرية التطور 89
بوكاي: من الاندهاش إلى التساؤل 103
قبسات من أقوال موريس بوكاي 112
بوكاي بين دارسيه ومنتقديه 120
قائمة بيبليوجرافية 126

عتبــة

يصدر هذا الكتاب ضمن مشروع معرفي طموح، تبنته ونفذته مؤسستان ثقافيتان كبيرتان، هما "جائزة الملك فيصل" بالرياض، و"معهد العالم العربي" في باريس، ممثلاً في "كرسي المعهد". يهدف هذا المشروع إلى التعريف بمائة عالم وباحث، من العرب والفرنسيين، ساهموا في تقديم إحدى الثقافتين للأخرى. لقد كرس هؤلاء الباحثون والمثقفون، العرب والفرنسيون، جهودهم لتعزيز مختلف أشكال الحوار الجاد، والتفاعل الخلاق بين ضفتي المتوسط، خلال القرنين الماضيين. وبفضل منجزاتهم الاستثنائية استحقوا الاحتفاء بهم، والكتابة عنهم، من أجل تخليد ذكراهم، والتعريف بهم لدى الأجيال التالية؛ التي نأمل أن ينظروا إليهم باعتبارهم رموزاً مشعة، تلهم العقول، وتضيء مسالك المستقبل، لكل من يعي أن الثقافة بمكوناتها العلمية والفكرية والجمالية، هي الطريق الأمثل للتعارف والتعاون بين البشر.

اختيار ستين شخصية عربية، وأربعين شخصية فرنسية، جاء نتيجة لعمل مهني متصل، بذلته لجنة علمية مشتركة على مدار أشهر. حرصت اللجنة أن تكون الأسماء المختارة

ممثلة، قدر الممكن، لمختلف الفترات التاريخية، والتخصصات المعرفية، والتوجهات الفكرية والإبداعية. إننا ندرك تمامًا أن في كل اختيار مخاطرة. ولو كتبنا عن ألف شخصية وأكثر، فسيظل هناك أعلام يستحقون الحضور ضمن هذه السلسلة.

يتوجه هذا المشروع الثقافي إلى قارئ عام يقظ، قد يدفعه فضوله إلى المزيد من البحث المعمق في منجزات هؤلاء الوسطاء الثقافيين، الذين طالما استمتعنا بكتاباتهم، وأفدنا من أفكارهم الغنية المجددة.

إنها قناعة من المؤسستين بإضاءة مائة شمعة، تدشينًا لعمل مفتوح، نأمل أن يتممه آخرون من بعدنا، وهنا يحقق المشروع أهدافه الأكثر جمالاً ونبلاً.

خالص التقدير للمؤلفين، الذين آمنوا معنا بالفكرة، وساهموا في تحقيقها. والشكر الأوفر لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، رئيس هيئة الجائزة، والسيد جاك لانغ، رئيس المعهد، لدعمهما ومتابعتهما للمشروع. والله الموفق.

أمين عام الجائزة	مدير عام المعهد
عبد العزيز السبيل	معجب الزهراني

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه دراسة موجزة عن العالم والطبيب الفرنسي موريس بوكاي Maurice Bucaille، تتناول حياته العلمية، وترصد معالم نبوغه وملامح عبقريته، وتفتُّحه العقلي، وتعدُّد اهتماماته العلمية، التي شكَّلت، في الواقع، مشروعه الفكري والبحثي الرائد في مجاله، الذي حظى باهتمام عالمي كبير، تمثَّل في تلك الملايين من النسخ التي بيعت من كتبه، وفي عدد اللغات التي تُرجمت إليها دراساته، وفي الجوائز التي منحتها له مؤسسات علمية مرموقة، وفي المحاضرات التي دعته لإلقائها أكاديميات علمية عريقة، في باريس ولندن وأمريكا وكندا واليابان، وفي بلدان العالمين العربي والإسلامي.

كان بوكاي – منذ حداثته - شغوفًا بدراسة علم المصريات Egyptology، وبدراسة أسفار الكتب المقدسة، فضلاً عن تخصصه الأصيل في الطب وعلومه الذي حقق فيه مكانة رفيعة، جعلته الطبيب الذائع الصيت في باريس، وأحد أفراد الفريق المعالج للملك فيصل بن عبد العزيز، وللرئيس أنور السادات وأسرته. وقد تفاعلت اهتمامات الرجل العلمية وتكاملت فتشكَّل منها مشروعُه البحثي الاستثنائي الذي تمثل في: دراسة نصوص الكتب المقدسة في ضوء حقائق العلم الحديث وحقائق التاريخ، وتمخضت بحوثه

عن نتائج مبرهنة قرأها الملايين من البشر في الغرب والشرق، على السواء.

ثم كان مشروعه المثير للإعجاب حقًّا، هو : القيام - ولأول مرة - بفحوص طبية لمومياوات فراعين مصر المحفوظة في القاعة الملكية بالمتحف المصري في القاهرة، بغرض معالجتها والحفاظ عليها، وقد تمكن من إقناع المسؤولين في مصر وفرنسا بنقل مومياء الفرعون رمسيس الثاني من القاهرة إلى باريس لتتم معالجتها بتقنيات حديثة، وقد نُقلت جثة الفرعون في موكب ملكي مهيب، واستُقبلت استقبالاً رسميًّا في باريس، وطافت حول المسلة المصرية التي تقف شامخة في ميدان الكونكورد، والعجيب أن تلك المسلة هي نفسها مسلته الفرعونية التي كان قد سجل عليها انتصاراته وغزواته وأمجاده قبل ثلاثة آلاف سنة. وقد رجَّح موريس بوكاي - معتمدًا على حجج قوية -أنَّ فرعون موسى، أو فرعون الخروج كان منبتاح، ولم يكن رمسيس الثاني.

لقد أثرى بوكاي حقًّا العقل الإنساني بدراساته الأصيلة الرائدة، وعمل في نُبل وإخلاص على تعميق العلاقات بين الغرب والشرق.

هذا، ويسرني أن أشكر جائزة الملك فيصل ومعهد العالم العربي في باريس على هذا المشروع الحضاري الرصين.

محمد عبد الله الشرقاوي

القاهرة 2020/9/6م

موريس بوكاي: حياته وأعماله

ولد موريس بوكاي Maurice Bucaille في مدينة فرنسية صغيرة تسمى بون ليفيك، تابعة لإقليم نور ماندي، ونشأ الصبي موريس في أسرة كاثوليكية متدينة، ألحقته بمدرسة كاثوليكية ليتلقي فيها تعليمه إلى المرحلة الثانوية.

وبعد أن أكمل الفتى موريس تعليمه الثانوي ترك مسقط رأسه وتوجه إلى عاصمة الأنوار الصاخبة باريس، حيث التحق بكلية الطب في جامعتها الأشهر (جامعة السوربون). ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945م كان صاحبنا قد أتم دراسته الجامعية، وتخرج في كلية الطب، لكن العاصمة باريس قد اختارته ليقيم فيها بقية حياته؛ فقد عُين طبيبًا جرّاحًا في مستشفى الجامعة، وكان يُكَلف بالتدريس أحيانًا تقديرًا لنبوغه، وسرعان ما أصبح رئيسًا لعيادات جراحة الجهاز الهضمي بالجامعة، واستمر في عمله إلى أن اضطر إلى تقديم استقالته من الجامعة وإلى إغلاق عيادته الخاصة، بعد خمسة وثلاثين عامًا تقريبًا من ممارسة الطب، ليتفرَّغ لمشاريعه البحثية التي ملأت الدنيا وشغلت الناس.

ومما تجدر الإشارة إليه أن البروفيسور موريس بوكاي كان طبيبًا نابغة، ذائع الصيت في تخصصه، وكان يقصد عيادته المشاهير

من داخل فرنسا ومن خارجها؛ لكن الرجل اختار أن يغلق عيادته في باريس ليتفرغ تمامًا لبحوثه العلمية ودراساته التي أسس بها مجالاً علميًّا جديدًا حقّق فيه ريادة ورصانة ورسوخ قدم؛ ذلكم الحقل العلمي هو: دراسة أسفار الكتب المقدسة للديانات الثلاث في ضوء حقائق العلوم الطبيعية المبرهنة القاطعة.

لقد وُهب موريس بوكاي حسًّا نقديًّا نافذًا، جعله يدور مع الدليل أو البرهان العقلي حيثما دار، ولا يستعبده التيار السائد ولا العرف الغالب فيستسلم لهما دونما نقد أو مراجعة وتمحيص.

ولا ريب أن تشبُّث الرجل بالموضوعيَّة والنزاهة العقلية، ومجافاته التقليد جعله يغرِّد خارج السرب ويتعالى عن غريزة القطيع في العديد من البحوث والمسائل، وهذا قد جرّ عليه كثيراً من المصاعب والمتاعب والنقود الظالمة لأعماله وأفكاره وأطروحاته كما سنشير إليه في موضعه من البحث.

وقد سمعتُ بوكاي - في فيلم تسجيلي عن منجزه ومسيرته - يحكي لجماعة من العلماء والأطباء في مدينة شيكاغو - أمريكا واقعة حدثت له عندما كان تلميذًا في المدرسة الكاثوليكية، وكان عمره خمسة عشر عامًا، قائلاً: في عام 1935م، في تلك الفترة أعلن الأب بيرونيه، وهو أحد علماء الآثار القديمة والأحافير الجيولوجية عن اكتشاف رسوم بشرية في كهف جنوب إسبانيا، وقد أرجع - بعد الفحص- تاريخها إلى (15000 سنة)، وفي ذلك الوقت كنا ندرس في كتاب الدين في المدرسة أن تاريخ ظهور الإنسان الأول على الأرض يرجع إلى (4000 سنة) قبل المسيح.

ويقول: أصابتني حيرة شديدة، فسألت الأب الذي يدرسنا مادة الدين: أيّ التاريخين أُصِّدق؟ فأجابني الأب المدرس قائلاً: من فضلك لا تخلط بين شيئين مختلفين تمامًا!!، هناك العلم في جانب والدين في جانب آخر، وعندما يقع تعارض بينهما، فإن ما سيقوله الدين هو الحقيقة! قلت له: هذا مستحيل؛ لأنه إذا كانت هذه حقيقة علمية تمت برهنتها واقعيًّا، فكيف يمكن إرجاع تاريخ ظهور الإنسان الأول على الأرض إلى ما يقوله كتاب الدين؟[1].

قد تبدو هذه القصة عابرة، لكنها تضع أيدينا على ما يمكن أن نطلق عليه: مفتاح شخصية موريس بوكاي؛ وأعني بذلك: عدم ركونه إلى التقليد وعدم قبوله بالتناقض، وتحكيمه الدليل والبرهان في كل ما يعرض له من أفكار وآراء وأحكام؛ تلك إذًا من أبرز الخصائص العقلية للرجل.

لكنَّ موريس بوكاي كان، إلى جانب ذلك، منتميًا إلى صنف من العلماء يوصفون بأنهم متعددو الاهتمامات البحثية multisided في جوانب علمية متداخلة.

فقد كان منذ صباه شغوفًا بالقراءة في أسفار الكتاب المقدس The Bible بعهديه؛ القديم والجديد Old and New Testaments ومما يحكيه هو عن نفسه أنه كان يذهب إلى مكتبة مدرسته (وهي مدرسة كاثوليكية) يبحث عن نسخة للكتاب المقدس فلا يعثر على

11) كرر موريس ذكر هذه الحكاية في بعض كتبه ومحاضراته، وفي الفيلم الوثائقي الذي تحدث فيه عن نفسه.

نسخة كاملة، فقد كان المسموح بعرضه أجزاء منتخبة منه، وقد أثار ذلك في عقله تساؤلات مبكرة عن أسفار الكتاب المقدس، وقد اطلع على كثير من أدبيات الدراسات النقدية للكتاب المقدس: biblical critical studies، بدءًا من مذكرات جان أستروك النقدية للكتاب المقدس، إلى كتابات معاصريه، في فرنسا خصوصًا، وفي الغرب بعامة، وظهر ذلك جليًّا في الفصول التي كتبها بوكاي عن التوراة والإنجيل في كتبه التي سنقتبس بعض نصوصها فيما بعد.

والحقل العلمي الثاني الذي كان ولُوعًا به منذ شبابه، هو: تاريخ المصريين القدماء، وعلم المصريات Egyptology. وشغف الفرنسيين عمومًا بتاريخ المصريين معروف، وقد ارتبط ذلك بإنجاز فرنسي عبقري هو قدرة شامبليون على فك رموز اللغة الهيروغليفية، أي لغة المصريين القدماء، بعد أن كان الإغريق والرومان قد قضوا عليها ومحوها من الوجود، واستبدلوا بها اللغتين الإغريقية، ثم اللاتينية إبان احتلالهم لمصر والهيمنة عليها مدة جاوزت الألفية من السنين. كما كان للفرنسيين ولعٌ كبير بالكشف عن كنوز الحضارة المصرية القديمة وآثارها المبهرة المذهلة، ونقل كل ما يقع تحت أيديهم إلى باريس، والاحتفاظ به في متحف اللوفر الشهير.

انجذب الطبيب الباريسي الشاب موريس بوكاي إلى علم المصريات، وانضم إلى الجمعية الفرنسية للمصريات، وأشبع نهمه في الاطلاع على تفاصيل التاريخ المصري القديم، بعد أن عرف اللغة الهيروغليفية التي بُعثت فيها الحياة من جديد في باريس، إثر مواتٍ استطال لألفي سنة أو يزيد.

وهكذا تشكلت الشخصية العلمية ثلاثية الأبعاد لموريس بوكاي؛ فهو طبيب جراح نابه في جامعة السوربون، وهو باحث مهتم بأسفار الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد (التوراة والإنجيل)، وهو دارس شغوف لتاريخ المصريين القدماء وحضارتهم Egyptology، وهو في كل ذلك يتكئُ على حسٍّ عقلي نقدي أصيل، يأبى التقليد الساذج، ويدور مع البرهان حيثما دار به.

ولقد ارتبط في عقله ووجدانه الغرب الذي درس علومه الطبيعية والطبية، مع الشرق الذي درس نصوص الأسفار المقدسة التي أشرقت فيه، وكذلك ولوعه بتاريخ المصريين وحضارتهم التي شكلت الرافد الملهم للحضارتين الإغريقية ثم الرومانية.

بوكاي: الغرب والشرق: عداوات الأمس يجب أن تزول اليوم

ولعل هذا الارتباط الوثيق في عقله ووجدانه بين الغرب والشرق كان الباعث له على أن يكون مشروعه الشخصي، هو: بناء أو ترميم الجسور التي تصدعت بين الغرب عمومًا وفرنسا خصوصًا، وبين الشرق العربي الإسلامي.

وقد جاءت كل مشروعاته البحثية لبنات تسهم في تشييد هذا البناء الذي تلخصه عبارته المتفائلة: " .... وكلي أملٌ أنَّ عداوات الأمس يجب أن تزول اليوم "[1].

أدرك بوكاي مبكرًا أن بناء الجسور بين الغرب والمسلمين والعرب يستلزم العمل الجاد الدؤوب على إزالة الحواجز المانعة من تحقيق غايته النبيلة، كما أدرك أن أخطر تلكم العوائق الصادة لبناء الجسور والمشتركات العامة، هو ذلكم الفهم الغربي المغلوط - بقصد وعمد أحيانًا، وبسوء فهم أحيانًا أخرى - للإسلام والعرب والمسلمين.. ويلاحظ من يقرأ كتب موريس بوكاي أنه يتمتع بشجاعة أدبية كبيرة، وبقوة نفس جعلته يقوم بعملية مراجعة ونقد ذاتي لفهم الغرب للإسلام وللصورة المشوهة التي رسمها كثير من

(1) أصل الإنسان يبين العلم والكتب السماوية، موريس بوكاي، ترجمة: فوزي شعبان.

المستشرقين والكتاب والأدباء الغربيين للإسلام، وشكلت، عبر قرون متطاولة، الوعي الجمعي للغرب تجاه الإسلام والعرب والمسلمين، وجعلت بعض الغربيين كارهين لهذا الدين ومتوجسين خيفة من العرب والمسلمين.

ومن هنا، فإن الدكتور موريس بوكاي قد خاض ببسالة معركة ذات مستويين، **أولهما** الإقرار بأنه قد تم رسم صورة زائفة مشوهة للإسلام وتوطينها في الوعي العام في الغرب؛ مع الإشارة إلى بعض قسمات هذه الصورة الزائفة (التي تبعث على الخوف من الإسلام وكراهية المسلمين والعرب). **وثانيهما:** التعرف إلى الوجه الحقيقي للإسلام واستكشاف ملامحه الأصيلة المبهرة وإحلالها محل تلك الصورة الكالحة البائسة.

واتساقًا مع أصول المنهج العلمي ولدقة الموضوع، فإنه يجدر بنا أن نفسح المجال واسعًا للدكتور موريس لكي يُحدث القارئ عن رؤيته. يقول في نبرة لا تخلو من كثير من الأسف والأسي: "الأحكام غير الصحيحة المؤسسة على مفاهيم مغلوطة، التي صدرت [في الغرب] ضد الإسلام، هي من الكثرة بحيث يصعب جدًّا على الإنسان الغربـــي أن يُكَون في ظلها فكرةً سليمة عما عليه الإسلام في واقع الأمر"[(1)].

(1) موريس بوكاي: القرآن والتوراة والإنجيل في ضوء العلم الحديث، ترجمة: عادل يوسف، المكتبة الأهلية، ص155.
وهناك ترجمة أخرى سابقة لهذه الترجمة قام بها مفتي لبنان خالد حسن، ونشرت في بيروت.

"إن الأحكام المغلوطة التي تصدر في الغرب عن الإسلام، هي تلك التي تختص بالأمور الواقعية [في الإسلام]، وإذا كنا نغفر أو نتسامح مع بعض الأخطاء التقديرية، فإننا لا نستطيع أن نتسامح مع تقديم وقائع تتناقض مع الحقيقة، بل إننا لنصاب بالذهول عندما نقرأ في أكثر المؤلفات جدية أكاذيب صارخة [عن الإسلام] على الرغم من أن مؤلفيها، هم- في الأصل- مؤلفون أكفاء.

ويقدم موريس بوكاي أمثلة على هذا التزوير، نكتفي بسوق نموذج له، وهو ما جاء في الجزء السادس من دائرة المعارف (أونفيرساليس) حين يتحدث المؤلف عن (الأناجيل)، فإنه يقحم القرآن إقحامًا ويختلق له ما ليس منه في الواقع، ويقول: "إن المبشِّرين [كُتّاب الأناجيل] لا يَدعون، كما يفعل القرآن، نقل سيرة ذاتية أوحاها الله إلى محمد". ويعلِّق بوكاي قائلاً: إنه ليس ثمة علاقة بين القرآن وما سماه المؤلف سيرة ذاتية؛ لأن القرآن -ببساطة- كتاب رسالة، ولو كان المؤلف استعان حتى بأسوأ ترجمة للقرآن لعرف ذلك.

وقد كان المسؤول عن هذه الأكذوبة عن القرآن: أستاذًا بالجامعة اليسوعية اللاهوتية بمدينة ليون الفرنسية.

ويستطرد بوكاي قائلاً بأسف: " إن نشر أكاذيب من هذا النوع يسهم في إعطاء صورة زائفة عن القرآن والإسلام [في الغرب][(1)]، ولم يكن هذا موقف الإنسان الغربي العادي فحسب، بل إنه موقف

(1) المرجع السابق ص 155 – 156.

العلماء الطبيعيين كذلك، فقد استحوذ هؤلاء العلماء - مثل غيرهم في الغرب - على كم هائل من التصورات الخاطئة عن الإسلام.

لقد كان الإسلام - بحسب عبارة موريس بوكاي - في بلادنا، ومنذ عهد طويل موضوع ما يسمى بالتشهير الأزلي، وإن أي باحث غربي أتيح له أن يحصل على معرفة صحيحة عميقة عن الإسلام يعرف إلى أي حد شُوِّه تاريخ الإسلام وعقيدته وأهدافه... وإن أكثر ما نُشر عن الإسلام باللغات الغربية لا يسهل مهمة البحث لمن يريد أن يتعلم[1].

وبما أن اهتمام بوكاي كان منصبًّا على جانب من القرآن الكريم يتمثل في الآيات التي بها إشارات علمية عن الطبيعية، فقد استرعى نظره أمران، هما: أخطاء وأغاليط كثيرة، وقعت في ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات الغربية الحديثة، والآخر هو: التعليقات التي كان بعض المترجمين يقحمها إقحامًا بلا داع موضوعي. يقول بوكاي: إن هناك أجزاءً من القرآن، وخاصة ما كان له ارتباط بمعطيات العلم، قد تُرجم بطريقة سيئة، أو عُلِّق عليه تعليقات تستفز العالم الطبيعي إلى أن ينتقد القرآن في أمور لا علاقة للقرآن بها البتة. ولم تكن تلك الأخطاء الراجعة إلى الترجمة، أو إلى تلك التعليقات المغلوطة (وكثيراً ما يجتمع الاثنان) تثير الدهشة منذ قرن أو اثنين، لكنها اليوم تصدم رجل العلم.. وتجعله ينتقد القرآن ويرفضه من حيث المبدأ، من منطلق اشتغاله بالعلوم الطبيعية والكونية.

---

(1) المرجع السابق ص 163 – 165.

ويذكر بوكاي أنه قد يكون سبب تلك الأخطاء أن المترجمين المحدثين يستعملون في أحيان كثيرة، ودون روح نقدية، تفسيرات معلِّقين قدامى، وقد يكون لهؤلاء المفسِّرين القدامى عذر في إعطاء تفسير غير دقيق لكلمة قرآنية أو جملة قرآنية، لأنه لم يكن باستطاعتهم فهم المعنى الفعلي للكلمة أو الجملة، فهناك من المعاني ما لم يظهر إلا في عصرنا هذا بفضل تقدم معارفنا العلمية، وعلى ذلك، فلا بد من مراجعة تلك الترجمات والتعليقات التي لم يكن أصحابها قادرين على إنجازها بشكل ملائم في حينها، على حين نملك اليوم العناصر العلمية التي يمكن أن تمكننا من أنْ نعطي المعاني الحقيقية والملائمة بشكل أفضل[1].

(1) السابق .

بوكاي يتحدث عن التجهيل المتعمد بالإسلام في الثقافة الغربية

ويلفت بوكاي الانتباه إلى عملية تجهيل الإنسان الغربي بحقيقة الإسلام التي بدأت مبكرًا منذ قرون، واستمرت على حال من القوة والرسوخ في تكريس الصورة المختلفة للإسلام وتصديرها للإنسان الغربي وتداولها إلى اليوم. يقول بوكاي: الواقع أننا ملزمون بملاحظة أن المعطيات الحقيقية الخاصة بالإسلام التي ذكرناها مجهولة تمامًا في البلاد الغربية، ولن نستغرب ذلك إذا تذكرنا الطريقة التي اتبعت في تثقيف الأجيال الكثيرة فيما يتعلق بأديان الإنسان وكيف فُرض عليهم الجهل فرضًا في كل ما يتعلق بحقيقة الإسلام، ومن ذلك مثلاً: التسميات المتداولة مثل "الدين المحمدي" و "المحمديون"، فإنها تدل على الرغبة في أن تظل النفوس مقتنعة بذلك التصور المغلوط الذي يقول إن تلك معتقدات اصطنعها أو اختلقها رجل، هو محمد، وإنه ليس لله (بالمعنى الذي يعتقده المسيحيون) مكان في تلك المعتقدات!!، وكذلك، فإن كثيراً من معاصرينا الغربيين، يهتمون بالجوانب الفلسفية والاجتماعية والسياسية في الإسلام دون أن يتساءلوا عن التنزيل الإسلامي... ويرون أن من المسلَّم به أن محمدًا قد اعتمد على من سبقه، وذلك بقصد استبعاد قضية الوحي منذ البدء. وزيادة على ذلك فهناك

بعض أوساط مسيحية عنصرية تحتقر المسلمين، ولقد خَبَرتُ هذا حين حاولت إقامة حوار من أجل دراسة مقارنة حول عدد من الأخبار المذكورة في القرآن والتوراة معًا في موضوع واحد، ولاحظت أن هناك رفضًا باتًّا للنظر بعين الاعتبار، ولو لمجرد التأمل، فيما يحتويه القرآن مما يتعلق بموضوع الدراسة المزمعة، كأن الرجوع في ذلك إلى القرآن يعني الاعتماد على الشيطان[1].

(1) السابق.

بوكاي يتطلع إلى التفاهم المتبادل بين الإسلام والغرب

نظر موريس بوكاي فوجد أن هذه الصورة النمطية التي تحض على كراهية الإسلام والخوف من المسلمين التي استقرت في الوعي الجمعي في الغرب، تمنع من تأسيس هذا التفاهم المتبادل الذي يسعى إليه، كما تحول دون تحسين العلاقات البينية بين الإسلام والغرب.

ومن هنا، فقد رأى بوكاي بحق أن الجهد ينبغي له أن يتركز على تفكيك هذه الصورة النمطية التي صُنعت بعناية في الشمال للإسلام والعرب والمسلمين.

وكم كان موريس بوكاي سعيدًا بتلك الوثيقة التي نشرتها سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين، الصادرة عن مجمع الفاتيكان الثاني الذي عُقد (1962 - 1965م) بعنوان "توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين"، وقد طُبعت هذه الوثيقة المهمة للمرة الثالثة سنة 1970م، ورأى بوكاي أنها تشهد بحق تحولًا كبيرًا في المواقف الرسمية المسيحية من الإسلام، وهي عميقة الدلالة على المواقف الجديدة التي تم تبنيها إزاء المسلمين من قبل الفاتيكان، فقد دعت الوثيقة إلى:

1- استبعاد تلك الصورة التي يصور المسيحيون المسلمين عليها.. تلك الصورة البالية التي ورَّثنا الماضي إياها وشوهتها الافتراءات والأحكام المسبقة ثم اهتمت الوثيقة "بالاعتراف بمظالم الماضي التي ارتكبها الغرب ذو التربية المسيحية في حق المسلمين".

2- وتنتقد الوثيقة أيضًا مفاهيم الغربيين الخاطئة فيما يتعلق بالجبرية الإسلامية، وحَرْفية الإسلام وتعصبه، وغير ذلك.

3- وتؤكد الوثيقة على وحدة الإيمان بالله عند الجماعة المؤمنة بالله، وتذكر كيف أثار الكاردينال كونينج إعجاب مستمعيه في المحاضرة التي ألقاها في الجامع الأزهر بالقاهرة سنة 1969م.

4- وتذكر الوثيقة أيضًا أن سكرتارية الفاتيكان قد دعت المسيحيين منذ عام 1967م إلى تقديم تهانيهم إلى المسلمين بمناسبة عيد الفطر؛ لأنه يمثل قيمة دينية أصيلة.

ثم يورد موريس بوكاي نصوصًا بالغة الدلالة تضمنتها وثيقة الفاتيكان؛ تطالب "بمراجعة مواقفنا إزاء الإسلام؛ وبنقد أحكامنا المسبقة.. وعلينا أن نهتم أولاً بأن نُغَير تدريجيًا من عقلية إخواننا المسيحيين، فذلك يهم قبل كل شيء"

ويجب التخلي عن الصورة البالية التي ورثناها عن الماضي وشوهتها الافتراءات والأحكام المسبقة، كما يجب الاعتراف بالمظالم التي ارتكبها الغرب المسيحي في حق المسلمين.

ويعلق بوكاي قائلاً: بهذا الشكل تقوم وثيقة الفاتيكان - التي تحتوي على مائة وخمسين صفحة تقريبًا - ببسط ودحض نظرات المسيحيين الكلاسيكية عن الإسلام، كما أنها تقدم عرضًا لما عليه الإسلام في الواقع.

ويتوقف بوكاي عند عنوان ورد بهذه الوثيقة نصه: "أن نتحرَّر من أكثر أحكامنا جسامة، حيث وجّه الكرادلة واضعو الوثيقة دعوة حارة إلى المسيحيين:"هنا أيضًا علينا أن نتطهَّر وبعمق من عقلياتنا، نقول ذلك ونحن نستحضر بالذات بعض الأحكام المتهورة التي كثيراً ما نصدرها باستخفاف شديد على الإسلام، ويبدو مهمًا وأساسيًا أن نكف عن أن نُبقي في قلوبنا النظرات المتسرعة بل والتحكمية... عن الإسلام والمسلمين".

ويواصل موريس بوكاي تقديم أمثلة لما ورد في وثيقة مجمع الفاتيكان الثانية المسماة lumen gentiem من نقد بالغ لما استقر ورسخ في الفكر الغربي المسيحي من أحكام متعسفة وافتراءات ممنهجة أنتجتها جهودٌ منظمةٌ وُضعت بذورها وجذورها في دير كلوني CLUNY البندكتي الكاثوليكي الذي تأسس في فرنسا في القرن العاشر الميلادي[1]، وقد كان هذا أكبر دير في الغرب إذ كان يضم أكثر من عشرة آلاف راهب، وفيه تمتْ أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية بهدف دحض القرآن والعمل على إبطاله ونقضه من أساسه، وقد مثل ذلك المنطلق لما سُمي- فيما

(1) Hunt, Noreen, Cluny Under Saint Hugh, 1049-1159, London 1967

بعد- بالدراسات الاستشراقية التي نشطت نشاطًا عظيمًا، واستمرت جذوتها مستعرة إلى اليوم، مع تغيرٌّ في أساليبها ووسائلها ومنهجياتها وأولوياتها ومؤسساتها. ومما يذكر أن بعض البابوات الكبار كانوا من رهبان هذا الدير مثل: أوربان الثاني، وجريجوري السابع، وباسكال الثاني، وأوربان الخامس.

ولعل خطط أبشع المظالم الوحشية التي ارتكبها الغرب في حق العرب والمسلمين قد حيكت في هذا الدير الكاثوليكي، مثل الحروب الصليبية التي استمرت أكثر من مائتي عام وتمخض عنها ما تمخض من نتائج كارثية؛ تلك الحروب التي دعا إليها ودشنها أحد صقور هذا الدير، وهو البابا أوربان الثاني في مدينة كلير مونت جنوب باريس سنة 1095م.

كما أن إشعال "حرب تطهير عرقي وديني وثقافي" التي شنها الغرب على المسلمين باسم "حرب استرداد الأندلس"، وما اتسمت به من بشائع وفظائع ومحاكم تفتيش كاثوليكية، اشعلت جذوتها وتبلورت في هذا الدير الكاثوليكي، برعاية مباشرة من الفاتيكان.

لقد احتفى موريس بوكاي -وهو رجل كاثوليكي- بوثيقة الفاتيكان احتفاءً شديدًا، واقتبس كثيراً مما ورد فيها من توجيهات للمسيحيين الغربيين بضرورة أن يكفوا عن إصدار الأحكام المغلوطة عن الإسلام، وبضرورة أن يعتذروا عن المظالم التي أوقعوها بالمسلمين عبر قرون متطاولة. وكأن موريس بوكاي رأى أن الفاتيكان يريد أن يتطهر مما ألحقه بالمسلمين والإسلام من مظالم تاريخية جسيمة، ورأى بوكاي أن هذه الوثيقة تمثل خطوة عظيمة

القيمة في إزالة الحواجز التي تُعوق بناء جسور علاقات جديدة تقوم على التفاهم والتكامل بين الغرب والمسلمين والعرب. يقول بوكاي: "إني متأكد أن دفاع الفاتيكان عن الإسلام سيثير دهشة كثير من معاصرينا من المسلمين والمسيحيين واليهود، وإنه إعلان يتميز بروح انفتاح وإخلاص يتباينان بشكل فريد مع مواقف الماضي "ويتأسف بوكاي لأن قليلين من الغربيين، هم الذين عرفوا تلك المواقف الجديدة التي تمثل قطيعة مع الماضي، التي اتخذتها أعلى سلطات الكنيسة الكاثوليكية، لأن الإعلام الغربي لم يسلِّط الضوء المناسب عليها.

ثم يتحدث بوكاي عن أفعال وأحداث فعلية تمت، وهي تشكل خطوات أولية في سبيل التفاهم المتبادل وبناء الثقة، ويُذَكِّرنا بتلكم الزيارة المهمة التي قام بها رئيس سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين إلى الملك فيصل في الرياض سنة 1974م، ثم تلا ذلك استقبال البابا بولس السادس وفدًا من كبار علماء السعودية في نفس العام استقبالاً رسميًّا، وقد زار هذا الوفد كاتدرائية Strasbourg، واستقبلهم فيها الأسقف Elchinger، الذي دعاهم لأداء فريضة الصلاة في بهو الكاتدرائية، ولذلك - في رأي بوكاي - دلالة روحية عظيمة في هذه الخطوات الإيجابية من الجانبين.

وهنا يلفت بوكاي الانتباه إلى أنه إذا كانت المقابلات تحدث بين كبار علماء الإسلام والمسيحية، فمن الطبيعي أن تتم المقابلات بين مختلف جوانب الكتب المقدسة.

وموضوع المقابلة هنا -وهو المشروع العلمي الطموح للدكتور بوكاي - هو: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعطيات العلمية

والمناهج المتعلقة بصحة النصوص، ويجب أن تقام هذه الدراسة على القرآن تمامًا مثلما تتم على التوراة والإنجيل.

ثم يعود بوكاي لتقديم نماذج من الوثيقة الكاثوليكية عن الأحكام المغلوطة التي أطلقها الغربيون المسيحيون عن الإسلام وهي تستوجب التصحيح، مثل اتهامهم الإسلام بأنه دين جبري، وهي تهمة أو فِرْية واسعةُ الانتشار في الفكر الغربي، تفندها الوثيقة معتمدةً على آيات من القرآن الكريم.

ومثل ترجمة لفظ الجلالة (الله) إلى الفرنسية في كلمة يُفْهم منها أن إله محمد، ليس هو إله موسى والمسيح عليهم السلام، ويشير نص الفاتيكان إلى أن "كلمة الله هي الكلمة العربية الوحيدة عند المسيحيين المتحدثين بالعربية للدلالة على الله الواحد".

كما أن الوثيقة تعارض الفكرة الغربية الشائعة عن الإسلام بأنه دين الإرهاب والخوف والرعب، وترى أن الإسلام هو دين الحب، حب الإنسان المتأصل في الإيمان بالله.

وتدحض الوثيقة الفكرة الغربية الشائعة عن الإسلام، وأنه "دين التعصب"، وتعلق على هذه الفِرْية قائلة: "الواقع أن الإسلام - عبر التاريخ - لم يكن أكثر تعصبًا من المسيحية عندما كانت الديانة المسيحية تكتب شيئًا له بعد سياسي"[1].

(1) The Bible, the Qur.an and Science, the Holy Scriptures Examined in the light of Mondern Knowledge by Maurice Bucaille, Translated from French, by Alastair d. Pannel and the Author.

وتبين الوثيقة أن الغربيين يترجمون العبارة الإسلامية (الجهاد في سبيل الله) إلى (الحرب المقدسة)، وهي ترجمة خاطئة من كل وجه؛ لأن الجهاد في الإسلام يعني "بذل الجهد لنشر الإسلام والذود عنه ضد المعتدين عليه"، وتتابع وثيقة الفاتيكان قائلة: "ليس الجهاد مطلقًا هو ما يعرف بالـ kherem في التوراة، فالجهاد الإسلامي لا يسعى إلى الإبادة بل يسعى لأنْ تمتد حقوق الله والإنسان إلى مناطق جديدة... كما كانت أعمال العنف في حروب الجهاد [الإسلامية] تخضع عمومًا لقوانين الحرب.... وفي الحروب الصليبية لم يكن المسلمون هم الذين ارتكبوا أكبر المذابح".

وتعالج الوثيقة - أخيراً – الحكم السابق القائل بأن الإسلام دين جامد يُبقي أتباعه في عصر وسيط بائد، ويجعلهم غير مؤهلين للتكيف مع منجزات العصر الحديث التقنية.... وتعلن الوثيقة: إننا نجد... في الفكر الإسلامي مبدأ "إمكانية تطور المجتمع المدني".

وقف الدكتور بوكاي طويلاً عند (وثيقة الفاتيكان) التي اعترفت وأقرت بأن الإسلام قد أُسيء فهمه – عن قصد أحيانًا، وعن سوء فهم أحيانًا أخرى- وعملت الوثيقة - كما رأينا - على تصحيح بعض الأحكام المغلوطة السائدة عن الإسلام، بل وطلبت من الغربيين المسيحيين الاعتذار عن المظالم التي ألحقوها بالمسلمين والعرب.

وجد موريس بوكاي أنَّ الوثيقة الفاتيكانيه -بوصفها صادرة من أعلى سلطة كاثوليكية - مستندٌ مهم يُعتمد عليه في محاولة تفكيك الصورة البشعة التي رُسمت للإسلام والمسلمين في الغرب، بحسبانها حاجزاً مانعًا من التفاهم والتعاون وبناء الجسور بين الجانبين.

المنجز العلمي للدكتور موريس بوكاي

يتمثل المنجز العلمي والفكري للدكتور موريس بوكاي في عدد من الكتب الرائدة التي ألفها، وفي مئات المحاضرات التي قدمها في مشارق الأرض ومغاربها، وفي اللقاءات والندوات والمؤتمرات التي شارك فيها، وكذلك في الأفلام الوثائقية التي تحدثت عن سيرته العلمية ونظرياته ورؤاه.

1- الكتاب الأول الذي نشره باللغة الفرنسية بعنوان: "labible, le Coran et la Science" نشرته دار Seghers في باريس سنة 1976م.

2- ثم صدرت ترجمته الإنجليزية بعد سنتين، بعنوان:

The Bible, the Qur'an, and Science. The holy scriptures examined in the light of modern knowledge, 1978

وقد تُرجم إلى العربية ثلاث ترجمات على الأقل، وقد شكّل هذا الكتاب: (الكتاب المقدس، والقرآن، والعلم، فحص الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث) ظاهرة ثقافية غير مألوفة في الحياة العلمية والفكرية في الغرب، وقد تلقاه القراء باهتمام شديد إذْ تُرجم إلى أكثر من سبع عشرة لغة، وصدرت منه أزيد من أربع عشرة طبعة فرنسية في سنوات معدودات، وبيعت منه ملايين

النسخ، وأحدث عاصفة علمية في الغرب والشرق، بين مؤيد للأفكار التي أوردها فيه موريس بوكاي، وبين معارض لها ومستخف بها.

قلنا إن بوكاي- الرجل الكاثوليكي الذي نشأ في بيئة كاثوليكية- كان شغوفًا منذ صباه بالقراءة في أسفار العهدين القديم والجديد، وقد تنبّه الرجل، منذ أن كان تلميذًا في المدرسة، إلى أن هنالك مشكلات تتمثل في عدم التوافق بين معطيات العلم والمعارف الحديثة وبين نصوص تلك الأسفار، والحوار الذي تم بينه وبين الأب مدرس مادة الدين في المدرسة عن التعارض بين معطيات العلم الحديث الثابتة والمبرهنة وبين نصوص الكتاب المقدس، ورَدُّ الأب عليه بأن الدين يسير في طريق، والعلم يسير في طريق آخر مختلف، وإذا وقع تعارضٌ ما بينهما، فإن ما تقوله الأسفار المقدسة هو الحق الذي يجب اعتماده. هذا الحوار لم يقنعه ولم يُسكت الأسئلة الملحَّة التي كانت تهجم على عقله، بل دفعه إلى التعمق في قراءة الكتب المقدسة ودراستها دراسة تحليلية نقدية.

وقد كان لدراسته العلوم الطبيعية والتحاقه بكلية الطب في باريس أثر كبير في السعي لإشباع شغفه القديم، في دراسته لأسفار العهدين القديم والجديد في ضوء معطيات العلم الحديث دراسة موضوعية مقارنة.

ودفعه تعمقه في دراسة أسفار الكتاب المقدس The Bible إلى استكمال الدائرة بدراسة القرآن، باعتباره الكتاب المقدس عند المسلمين، وبهذا يكون قد اجتمع له دراسة الكتب المقدسة للديانات الثلاث؛ اليهودية والمسيحية والإسلام.

لم يكن موريس بوكاي في ذلك الوقت يعرف من اللغة العربية شيئًا فبدأ بقراءة ترجمات فرنسية لمعاني القرآن، مثل ترجمة ر. بلاشير R. Blachere، وترجمة حميد الله، وغيرها. وبدأ في دراسة القرآن دراسة نقدية فاحصة، وكانت قد اجتمعت لديه خبرة عميقة بالدراسات النقدية الكتابية، (biblical critical studies) فطبق مناهجها في دراسته للقرآن؛ تدوينًا مكتوبًا، وجمعًا، وحفظًا في الصدور والسطور معًا، وقراءات، وتفاسير إلخ.

وكلما تعمق في دراسة القرآن - وهو العالم الطبيب الكاثوليكي الفرنسي - كلما اكتشف القدر الهائل من الأفكار الخاطئة والأحكام المسبقة والتشهير والتحقير الذي اختلقه الكتاب الغربيون عن الإسلام والقرآن واستمر وتراكم عبر قرون من الزمان.

ثم انقدحت في عقله فكرة تأليف كتابه هذا الذي شكل أساس مشروعه العلمي، وقرر دراسة الكتاب المقدس والقرآن معًا في ضوء معطيات العلم الحديث.

وعندما كان يتناقش مع بعض زملائه من العلماء والأطباء في دراسة القرآن في ضوء العلم الحديث إلى جانب أسفار الكتاب المقدس، كانوا يصابون بدهشة، سرعان ما تتطور إلى سخرية من القرآن.

إن دراسة بوكاي النقدية للقرآن في ترجماته الفرنسية، وللإسلام بشكل عام جعلته – كما يقول – يقف على قياس المسافة الشاسعة التي تفصل واقع الإسلام في جوهره وحقيقته عن الصورة التي

اختلقناها له في بلادنا الغربية، وهذا دفعه إلى مزيد من البحث والفحص والتحقيق، وهنا، وهو على هذا الحال الفكري، وقع للرجل أنْ أصبح طبيبًا معالجًا لأسرة الرئيس أنور السادات، الذي رشّحه لكي يكون الطبيب الشخصي للملك فيصل وأسرته.

وقد أتيح لبوكاي أن يتناقش مع الملك فيصل، وأن يستمع إليه وهو يتحدث عن الإسلام، وأن يذكر له بعض المسائل المشكلة في تفسير القرآن. ويعبر بوكاي عن مشاعره تجاه الملك فيصل قائلاً: "سأظل مدينًا بالعرفان، وبشكل لا حَدَّ له للمغفور له جلالة الملك فيصل، الذي أُحيي ذكراه باحترام عميق، سيظل محفورًا في ذاكرتي دائمًا. وقد كان لي الشرف أن أستمع إليه وهو يتحدث عن الإسلام، وأن أذكر في حضرته بعض مشكلات تفسير القرآن في ارتباطها مع العلم الحديث"[1].

وكان قد استقر لدى بوكاي أن من مقتضيات المنهجية الرصينة أن يتعلم اللغة العربية لكي يقرأ نص القرآن بلغته الأصلية، ويطلع كذلك على بعض تفاسيره العربية، وقد سجّل بوكاي نفسه تلميذًا في المعهد الوطني للغات في جامعة باريس، وانتظم في دراسة اللغة العربية مدة ثلاث سنوات، وقد كان عمره إذاك يناهز الخمسين، وكان ذلك مطلع السبعينيات من القرن العشرين. يقول بوكاي عن تجربته هذه: "... شعرت بالحاجة إلى تعلم اللغة العربية

(1) بوكاي: الكتاب المقدس والقرآن والعلم الحديث، ترجمة عادل يوسف، ص 166.

التي لم أكن أعرفها، وذلك حتى أكون قادرًا على التقدم في دراسة هذا الدين الذي يجهله الكثيرون، وكان هدفي الأول هو قراءة القرآن ودراسة نصه [آية آية]، مستعينًا بمختلف كتب التفاسير الضرورية للدراسة النقدية، وعكفت على دراسة القرآن، مع التركيز بشكل خاص على الوصف الذي يعطيه لذلك الحشد العظيم من الظواهر الطبيعية التي أشتغل عليها، ولقد أذهلني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظواهر، وهي تفاصيل لا يمكن أن تُدرك إلا في النص الأصلي [أي بلغته الأصلية]، أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات، والتي لم يكن ممكنًا لأي إنسان في عصر محمد أن يُكوِّن عنها أدنى فكرة"[1].

(1) بوكاي، السابق ص 166- 167.

الكِتابُ الظاهرة

لقد مثّل كتاب: (الكتاب المقدس، والقرآن، والعلم، في ضوء معطيات العلم الحديث) ظاهرة ثقافية وفكرية لافتة، ليس لأن الكتاب قد وُزع منه ملايين النسخ في فرنسا، وفي مشارق الأرض ومغاربها، وليس لأن الكتاب قد تُرجم إلى عشرين لغة تقريبًا، وطُبع منه عشرات الطبعات، فحسب، ولكن لأن الكتاب أسّس تيارًا علميًا جديدًا في الغرب والشرق، ونُظر إليه بحسبانه اختراقًا علميًا قدم بعدًا جديدًا في قراءة الكتب المقدسة.

يمكنني القول بأن هذا الكتاب الذي كتبه موريس بوكاي للقارئ الفرنسي والغربي عمومًا، كان الأهم في مشروعه الفكري، وأن بقية كتبه ومحاضراته كانت تفصيلاً وشرحًا وتعليلاً لما تضمنه هذا الكتاب.

وقد تحدث بوكاي عن تعلمه اللغة العربية في الفيلم الوثائقي الذي أُنجز عن مسيرته سنة 1986م بعنوان The Book of Signs وقد أشار إلى ذلك lief Stenberg، في رسالته للدكتوراه The Islamaieation of Science, lund, 1996, p.218 وانظر كذلك سلسلة المقالات التي نشرها الباحث: Stefano Bigliardi عن بوكاي وأفكاره ومنجزاته والانتقادات التي وجهت إليه.

ويحسن بنا أن نسوق هنا المسائل الكبرى التي عالجها هذا الكتاب: كان الموضوع الرئيسي هو عرض نصوص الأسفار المقدسة التي تتحدث أو تشير إلى ظواهر طبيعية أو كونية في ضوء حقائق العلم الحديث المبرهنة الثابتة، وقد خصص مبحثًا للعهد القديم (التوراة)، وخصص مبحثًا آخر لنصوص القرآن الكريم وفحصها في ضوء حقائق العلم الحديث، ثم أورد النتائج التي خلص إليها، والتي تمثلت في أن ثمة تناقضات وتعارضات أساسية بين نصوص التوراة وحقائق العلم الحديث، وأذهله- وهو الطبيب الكاثوليكي- ذلك التوافق العجيب بين آيات القرآن وبين حقائق العلم الحديث، مع أن القرآن كتاب دين وهداية، وليس كتاب علم في الأساس.

لكن موريس بوكاي بحث في كتابه هذا مسائل أخرى كانت بمثابة مقدمات ضرورية للموضوع الرئيس المشار إليه؛ من ذلك مسأله مدى موثوقية نصوص العهدين القديم والجديد، ونص القرآن الكريم. وقد وظّف بوكاي في بحثه هذا مناهج نقد النصوص نقدًا خارجيًّا وباطنيًا كما استخدمها كبار علماء اليهودية والمسيحية في نقد نصوص العهدين، وقد طبّق تلك المناهج ذاتها في فحصه مسألة موثوقية القرآن الكريم.

ثم ناقش بموضوعية مسألة إساءة علماء الغرب منذ قرون فهم القرآن والإسلام وتعمدهم رسم صورة مزيفة للإسلام وتصديرها إلى الناس هناك، واستفاد – إلى جانب خبرته الذاتية – بالوثيقة الصادرة

عن مجمع الفاتيكان وتوجُّه المسيحيين إلى النقد الذاتي فيما يتعلق بأحكامهم الخاطئة التي أطلقوها على الإسلام، وقد دعت الوثيقة الغربيين إلى تقديم الاعتذار للمسلمين عن المظالم التي ألحقوها بهم، كما ذكرنا.

ثم عقد بوكاي مقارنة بين الأناجيل والحديث النبوي في بعض الجوانب التي تتشابه أو تتماثل فيها. كما أنه بحث موضوع خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى عليه السلام كما وردت في التوراة والقرآن، وكما تشير إليها وقائع التاريخ المصري القديم مع محاولة استكناه مَنْ هو الفرعون الذي أُغرق في البحر وحُفظ بدنه ليكون للناس آية. وقد شغل هذا الموضوع بوكاي واستغرق بحثه وفحصه - فيما بعد - شطرًا من وقته وجهده وأصدر فيه كتابين.

القرآن والعلوم الحديثة

بدأ الدكتور بوكاي هذا المبحث بالتذكير بأمر مهم، هو نظرة العلماء في مجال العلوم الطبيعية والكونية إلى المسائل الدينية، فيقول: "في الواقع أننا - إذا استثنينا اليوم بعض الحالات النادرة - نجد أن غالبية العلماء Scientists، وقد اعتمدوا النظريات المادية، لا يكنون - في غالب الأحيان- إلا عدم الاكتراث، أو الاحتقار للمسائل الدينية، وكثيراً ما يعتبرونها مؤسسة على خرافات أو أساطير"[1].

ومن هنا، فإن محاولة موريس بوكاي الجمع بين نصوص القرآن ومعطيات العلوم الحديثة قد أثارت كثيراً من الدهشة والاستغراب الذي بلغ حد السخرية لدى كثير من الغربيين، ونظروا إلى هذه المحاولة الأولى من نوعها في الفكر الغربي على أنها (أمر بدعي في هذا العصر).

---

(1) بوكاي: الكتاب المقدس والقرآن والعلم الحديث. ويلاحظ أن اللغة الإنجليزية تطلق لفظ Scientist على العالم في مجال العلوم الطبيعية والكونية، بينما تطلق لفظ Scholar على العالم في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية والدينية؛ مما يرسخ الانفصام بين المجالين، فلكل منهما علماؤه، بينما نجد في اللغة العربية أن لفظ (العالم) يطلق على العالم في جميع المَجَالات بغير تفريق، مما يؤشر إلى وحدة المعرفة دونما انفصام أو تفريق.

ولعل مما زاد في غرابة محاولة بوكاي، هو أن بعض الغربيين عندما يدرسون مسألة ما لها علاقة بأسفار الأديان، يستبعدون الإسلام والقرآن، لأسباب تتعلق بما تعرض له الإسلام من سوء فهم مزمن في الغرب.

ثم يقرر بوكاي أنه لا يوجد في أسفار الثلاثة الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية والإسلام) ما يدين أو ينتقص أو يمنع من طلب العلم، لكن العلاقة بين علماء الأديان الثلاثة تفاوتت فلم تكن واحدة في موقفهم من العلم والعلماء الطبيعيين. ويعطي بوكاي مثالاً لذلك قائلاً: "في العصور الوسطى المسيحية لاقى العلماء مصاعب جمة من السلطات الدينية المتنفذه، ومن غير الاعتماد على أي نصوص حقيقية للكتب المقدسة عارضوا تطور العلوم، وقد اتخذت سلطات الكنيسة إجراءات عنيفة ضد العلماء الذين يعملون على تطور العلوم؛ مما دفع بعض العلماء إلى المنفى خوفًا من الموت حرقًا أو طلب المغفرة بتعديل نتائج بحوثهم ومواقفم العلمية"[1].

"أمّا في الإسلام فإن الموقف - في العموم - كان مختلفًا؛ فإن القرآن يدعو الناس إلى المواظبة على طلب العلم والاشتغال به، إلى جانب أنه يحتوي على نصوص عديدة خاصة بالظاهرات الطبيعية وببعض التفاصيل التوضيحية التي تتفق تمامًا مع معطيات العلم الحديث.. وليس هناك ما يعادل ذلك في التوراة والإنجيل[2].

ثم ينبه بوكاي على أن بعض المسلمين في بعض العصور قد

---

(1) السابق ص 161.

(2) السابق ص 162.

اتخذوا موقفًا سلبيًا من العلم ومن تطوير العلوم، ويستدرك بوكاي قائلاً: لكن علينا أن نتذكر أن في عصر عظمة الإسلام، أي بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر الميلادي، وعلى حين كانت تُفرض القيود الصارمة على التطور العلمي في بلداننا المسيحية، أُنجز أعداد عظيمة من البحوث والمكتشفات بالجامعات الإسلامية.

وكان الباحث في ذلك العصر يجد وسائل ثقافية عظيمة.. ففي قرطبة كانت مكتبة الخليفة تحتوي على أربعمائة ألف مجلد، وكان ابن رشد يُعلِّم بها، وقد شهدت هذه العاصمة (قرطبة) ترجمة عظيمة من اللغات اليونانية والهندية والفارسية.

وكان الكثير من الأوربيين المسيحيين يسافرون للدراسة في قرطبة، مثلما يحدث في عصرنا هذا حيث نسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتحصيل أو تكميل بعض الدراسات. ويستطرد بوكاي قائلاً: وكم هي كثيرة تلك المخطوطات[1] التي وصلت إلينا، والتي كتبها العلماء العرب ناقلة بذلك الثقافة إلى البلاد المفتوحة..!

ولَـكَم نحن - الغربيين - مدينون للثقافة العربية في الرياضيات (الجبر العربي)، وعلم الفلك والفيزياء (البصريات)، والجيولوجيا وعلم النبات والطب (ابن سينا)... إلى غير ذلك... لقد اتخذ العلم له صفةً عالمية في الجامعات الإسلامية في العصر الوسيط[2].

---

(1) يقدر بعض العلماء عدد المخطوطات العربية والإسلامية التي نقلت إلى المكتبات والجامعات الغربية بـ (ستين ألف مخطوط).

(2) بوكاي، المرجع السابق ص 162.

تفسير بوكاي للخصومة المحتدمة بين العلم الطبيعي والدين في الغرب

يرجع بنا بوكاي إلى العصر الوسيط حين كان العلم في الجامعات الإسلامية عالميًّا، ويلاحظ: أن الناس في ذلك العصر كانوا أكثر تأثرًا بالروح الدينية، مما هو عليه الحال في عصرنا، ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا في آن واحد مؤمنين وعلماء. كان العلم الأخ التوأم للدين، ويقول بوكاي بأسف عميق: كان ينبغي على العلم أن يظل كذلك: أخًا توأمًا للدين.

يوضِّح بوكاي أن الأمر في الغرب لم يكن كذلك، فقد كانت البلاد المسيحية في تلك الحقبة في ركود علمي وتزمت ديني مطلق، وتوقف البحثُ العلمي الحقيقي، ليس بسبب التوراة والإنجيل، وإنما.. وعلينا أن نشدد على ذلك... بسبب هؤلاء الذين كانوا يزعمون أنهم خدام التوراة ولإنجيل.

ثم بعد النهضة في أوروبا، جاء ردُ الفعل الطبيعي، وهو: أن يأخذ العلماء الطبيعيون بثأرهم من منافسي الأمس، وهذا الثأر مستمر حتى يوم الناس هذا؛ لدرجة أن التحدث حاليًّا في الغرب عن الله في الأوساط العلمية يعتبر ضربًا من الاستثناء أو الشذوذ. ولهذا تأثيره السيء على العقول الشابة (والمسلمة منها التي تتلقى تعليمنا الجامعي). ويقدم بوكاي مثالاً لذلك، هو أن واحدًا من

العلماء الحاصلين على جائزة نوبل في الطب ينشر في كتابٍ له موجه للجمهور: أن المادة الحيّة قد استطاعت أن تخلق نفسها بنفسها[1].

ولا يُخفي موريس بوكاي دهشته من أن هذا التقدم الهائل لعلوم الحياة (البيولوجيا) والعلوم الطبيعية الأخرى، إلى حد الإعجاز، كان ينبغي أن يقود العلماء في اتجاه آخر معاكس للمادية والإلحاد؛ لأنه كلما تقدم الإنسان في مجال العلم، وخاصة في كل ما هو متناهٍ في الصغر، كلما ازدادت الحجج القائلة بوجود إله خالق وضوحًا وإحكامًا، لكنَّ الإنسان بدلاً من أن يمتلئ بالتواضع أمام هذه الحقائق العلمية المذهلة نراه ينتفخ تكبراً وإعراضًا. بل يعتقد هذا الإنسان أن من حقه أن يسخر من فكرة الألوهية كما يسخر من كل ما يشكل عقبة أمام متعته وشهيته للتمتع. وذلك هو المجتمع المادي في تمام تمدده اليوم في الغرب.

ويتحدث الدكتور بوكاي (الكاثوليكي) في مرارة وألم عن المادية والإلحاد الذي تمدد في المجتمعات الغربية قائلاً: إن الماديَّ الملحد لا يرى في المسيحية الكلاسيكية إلاّ نظامًا أسّسه البشر قبل ألفي سنة لإرساء سلطة لأقلية قليلة على الآخرين من البشر. ولن يجد [هذا العالم الملحد] في الكتب المقدسة المسيحية لغةً تتشابه، ولو من بعيد مع لغة العلم، لأن هذه الكتب تحتوي على كثرة من الأمور التي لا تتفق مع المعطيات العلمية

(1) بوكاي، المرجع السابق، ص 162 - 163.

الحديثة، بل ومن المتناقضات ومن الأمور غير المعقولة، بحيث يرفض النظر بعين الاعتبار إلى نصوص تريد غالبية رجال اللاهوت والكنيسة أن يقبلها كلها كما هي، وإذا ما حدّثت هذا العالم المادي الملحد عن الإسلام فإنه يبتسم بغرور ساخرًا، رغم جهله المطبق بالموضوع؛ لأن مثله، مثل معظم المثقفين الغربيين -أيًّا كانت معتقداتهم الدينية- فإنه يملك عن الإسلام شحنة هائلة من الأفكار والأحكام الخاطئة.

الأسس المنهجية التي ألزم موريس بوكاي بها نفسه في دراسته للقرآن الكريم

يمكننا تلمُّس الضوابط المنهجية التي التزم بها بوكاي في أثناء دراسته للقرآن في ضوء العلم الحديث؛ **أولها:** أنه ألزم نفسه -وهو الطبيب العالم الذي ناهز الخمسين من عمره- أن يتعلم لغة القرآن الأصلية، أي اللغة العربية كيلا يقرأه في ترجماته الأوروبية التي رأى أن عليها ملاحظات غير قليلة.

وثانيها: يقول: ثم طرقتُ دراسة نصوص القرآن بروح متحررة من كل حكم سابق وبموضوعية تامة، وإذا كان تأثيرٌ ما قد مورس عليَّ فهو بالتأكيد تأثير التعاليم التي تلقيتها في صباي وشبابي عن الإسلام؛ لأنه رجل كاثوليكي لم يعلن قط أنه اعتنق الإسلام إلى أن مات، بل إنه قال في الفيلم التسجيلي الذي أُعد عن مسيرته وإنجازاته متسائلاً: ماذا سيفيدكم لو أنني مسلم واسمي محمد بوكاي؟!، وقد شهد صديقاه البروفيسور التونسي محمد الطالبي (ت 2017م) (الذي شاركه في تأليف كتاب تأملات في القرآن: Réflexions sur le Coran، نُشر سنة 1989م)، وكذك الأب الفرنسي الكاثوليكي ميشيل لولون (الذي توفي قبل شهرين) بأنه كان محبًّا للحقيقة، محبًّا للإسلام والقرآن، لكنه لم يعلن قط أنه تحول عن الكاثوليكية واعتنق الإسلام.

وثالثها: أن بوكاي لا يُحَكِّم النظريات أو الفروض العلمية في نصوص الأسفار المقدسة والقرآن، ولكنه يقارن فقط الحقائق العلمية الثابتة المبرهنة[1]، يقول:... وحتى تكون هذه المقابلة ذات قيمة، يجب أن تكون الحجة العلمية المعتمد عليها ثابتة تمامًا، وألاّ تكون محل جدال...، فالعلم كما يزعمون متغير مع الزمن، وما يمكن قبوله اليوم قد يُرفض غدًا، هذا الرأي يتطلب التعديل التالي: يجب التفريق بين النظرية العلمية وبين الفعل (التطبيق) الذي يمكن ملاحظته عمليًا ورصده واقعيًّا. فغاية النظرية أن تشرح ظاهرةً أو مجموعة من الظواهر عسيرة الفهم، هذه النظرية قابلة للتغير في كثير من الأحوال، وهي قابلة للتعديل، وقابلة لأن تحل محلها نظرية أخرى..، أما الفعل موضوع الملاحظة فهو على عكس ذلك، إذ أنه غير قابل للتغير أو التعديل.. نعم، قد يمكن تعريف سماته بشكل أحسن، لكنه يظل على ما كان عليه من قبل؛ فإثبَات أن الأرض تدور حول الشمس، والقمر يدور حول الأرض، فهذا ما لن يُرجع فيه أبدًا، وقد يمكن في المستقبل تحديد المدارات بشكل أفضل[2].

ورابعها: أنَّ البروفيسور موريس بوكاي لا يعتبر القرآن كتاب قوانين فيزيائية أو كيميائية أو فلكية. يقول في ذلك: ليس القرآن

---

(1) لقد أقر له منتقدوه بهذا، انظر: (Stefano Bigliardi) في عدد من الأوراق البحثية التي نشرها تباعًا عن موريس بوكاي وآرائه. وسنشير إلى بعضها في حينه.

(2) بوكاي، السابق ص 169 - 170.

كتابًا يهدف إلى عرض بعض القوانين التي تتحكم في الكون، لأن للقرآن هدفًا دينيًا جوهريًا"[1]. ثم يلفت الانتباه إلى السياق القرآني الذي ترد فيه آيات فيها إشارات كونية أو إنسانية؛ وذلك- تحديدًا- عندما يتحدث القرآن عن طلاقة القدرة الإلهية في الخلق فإنه يشير إلى ظاهرات طبيعية وإنسانية بحسبانها مجالات منظورة للقدرة الإلهية.

تلك إذًا - في رأيي - هي الأسس أو الضوابط المنهجية التي استمسك بها موريس بوكاي في عرضه نصوص الكتاب المقدس والقرآن الكريم على حقائق ومعطياته العلم الحديث.

(1) بوكاي، السابق ص 169.

نماذج من تأملات موريس بوكاي في بعض الإشارات القرآنية في ضوء حقائق العلم الحديث ومعطياته

أود أن أقدم، للقارئ الكريم، نظرة مجملة إلى الموضوعات الطبيعية التي أشار إليها القرآن الكريم، واستوقفت العالم الكاثوليكي الفرنسي بوكاي ليفحصها في ضوء حقائق العلم الحديث ومعطياته.

كان الموضوع الأول، هو الذي يتعلق بقضية (خلق السماوات والأرض)، وما يتفرع عنها من مسائل؛ ولأن السِّفر الأول من التوراة (العهد القديم Old Testament) جاء باسم (سفر التكوين أو سفر الخلق)، فإن البروفيسور موريس بوكاي قد فحص نصوص هذا السفر التوراتي، وقارن مضمونه بنصوص القرآن في ضوء العلم الحديث، وانتهى إلى استنتاج سنشير إليه في حينه. لكنَّ بوكاي يُصوِّب توجُه بعض العلماء الأوربيين في هذا الصدد قائلاً: "يزعم كثير من المؤلفين الأوربيين أن رواية القرآن عن الخلق قريبة- إلى حد كبير- من رواية التوراة، وينشرحون لتقديم الروايتين بالتوازي... ويقول: إني أعتقد أن هذا مفهوم خاطئ، فهناك اختلافات جلية؛ ففيما يتعلق بمسائل ليست ثانوية مطلقًا من وجهة النظر (العلمية) نكتشف في القرآن إشارات (دعاوى) لا معادل لها في التوراة...

المراحل الست للخلق

تؤكد كل من التوراة والقرآن على أن الله خلق الخلق في ستة أيام، ويرى بوكاي أن معنى اليوم في التوراة هو اليوم المعروف لنا الذي يبدأ من الغروب إلى الغروب، لكن معنى اليوم في القرآن، هو المرحلة أو الفترة الزمنية الممتدة، وهو ما يتوافق مع المعطيات العلمية.

كما أن القرآن لا يشير إلى ترتيب معين في خلق السماوات والأرض، بمعنى: هل خلق الله الأرض أولاً ثم خلق السماوات بعد ذلك أم العكس؟ بينما يُشير سفر التكوين إلى أن الله خلق الأرض وبناها وأحياها، وبعد أن انتهى من ذلك خلق السماوات وما فيهن من شمس وقمر. ويرى بوكاي أن نظرة سفر الخلق (التكوين) هذه لا تتوافق مع حقائق العلم؛ لأن حياة الأحياء على الأرض لن تكون صالحة إلا في حال وجود الشمس.

ثم يتأمل موريس بوكاي عملية "تشكُّل الكون الأساسية وانتهائها إلى تكوين العوالم"، فيقول: "يجب الالتفات إلى ما يلي:

أ- دعوى القرآن بوجود كتلة غازية ذات جزيئات، وهو ما يفسَّر به جزيئات دقيقة ...

ب- الإشارة إلى عملية (الفَتْق) للكتلة الفريدة الأولى التي كانت عناصرها في البدء ملتحمة (الرَّتْق). وبهذا الفَتْق بعد الرّتق وجدت العوالم".

ويأخذُك بوكاي إلى "سبب آخر لإثارة دهشة قارئ القرآن في القرن العشرين: تلك الآيات التي تشير إلى ثلاث مجموعات من المخلوقات، هي: تلك التي توجد في السماء.

تلك التي توجد على الأرض.

تلك التي توجد بين السماوات والأرض".

ويلخص بوكاي النقاط المهمة التي يُعْلِمنا بها القرآن فيما يتعلق بالخلق فيما يلي:

1- وجود ست مراحل للخلق عمومًا.

2- تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض.

3- خلق الكون ابتداءً من كومة أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة (الرّتق)، تفصلت بعد ذلك (الفتق).

4- تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض.

5- وجود خَلْقٍ وسيط بين السماوات والأرض.

إشارات علم الفلَك في القرآن

ثم يأخذنا الدكتور بوكاي إلى ما في القرآن من إشارات تتعلق بعلم الفلك، ومنها ما يخص طبيعة الأجرام السماوية: الشمس والقمر والنجوم والكواكب، والسماء الدنيا، والبنية السماوية بشكل عام، والإشارة إلى تنقُّل القمر والشمس في الفضاء بحركة خاصة لكل منهما، والإشارة إلى مدارين، أحدهما للقمر، والآخر للشمس.

يلاحظ بوكاي عند إشارة القرآن إلى حركة أو تنقُّل القمر والشمس في الفضاء، أنه لا يوجد لهذا المفهوم في ترجمات القرآن وتفاسيره معنى دقيق؛ لأنهم لم يكونوا قد اطلعوا على معطيات العلم الحديث بهذا الخصوص، أعني فيما يتعلق بدورتي القمر والشمس.

يقول بوكاي: لقد أكد العلم الحديث حركات هذين الجرمين السماويين، كما ورد في إشارات القرآن تمامًا، ويستحيل تصورُّ أن رجلاً في القرن السابع الميلادي (محمد النبي) قد استطاع اكتشاف ذلك مهما يكن عالمًا متخصصًا في هذا المجال، ومحمد لم يكن كذلك.. ويتساءل: هل كان محمد مفكرًا عبقريًا تخيّل وحده ما اكتشفه العلم الحديث بعده بقرون عديدة!!

وبعد أن يتحدث عن آيات (مستقر الشمس) و(الأجل المسمى لجريانها) في الآيتين:

﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [سورة يس: 38]، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [سورة الرعد:2]،

وتطابُق ذلك مع حقائق علم الفلك الحديثة، يتوقف عند الآية القرآنية التي تشير إلى أن الكون آخذٌ في التوسع والتمدد: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47].

بقول بوكاي: توسُّع الكون أعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث، ذلك مفهوم علمي ثبت اليوم تمامًا، ويناقش العلماء النموذج الذي تم به هذا التوسُّع.

وإذا كانت النسبية العامة هي التي أوحت به، فإن توسع الكون يعتمد على معطيات مادية، وذلك بالاعتماد على طيف المجرات...

الإشارات القرآنية إلى الأرض وما يتعلق بها من أمور، مثل:

1- دورة المياه والبحار.

2- تضاريس الأرض.

3- الطبقة الجوية المحيطة بالأرض.

فيما يتعلق بدورة المياه والبحار، يشير بوكاي إلى كم الأفكار الخاطئة التي كانت شائعة قبل محمد وفي عصره عن هذه المسألة، وكيف أن محمدًا تجاوزها بحيث لا يوجد لها صدى، وأن إشارات القرآن جاءت متوافقة مع معطيات العلم الحديث. يقول بوكاي: "ولنقارن معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث بتلك التي نجدها في كثير من الآيات القرآنية، المذكورة في هذه الفقرة، سنلاحظ وجود توافق رائع بين الإثنين".

وفيما يتعلق بالبحار، يقول بوكاي: لا توجد في القرآن جملة واحدة عن البحار تحتوي على خرافات أو أساطير كانت سائدة في عصر نزوله.

أما إشارات القرآن إلى تضاريس الأرض والجبال وطبيعتها وتعرجاتها وصدوع الأرض، وتمهيدها لسكنى البشر فوقها، وإشارات القرآن إلى الجو الأرضي وما له من خصائص، مثل الكهرباء الجوية والظل على الأرض وانتقاله، فقد كانت موضوعًا لفحص موريس بوكاي في ضوء حقائق العلم الحديث ومعطياته، ومما لفت انتباهه أن الإشارات القرآنية لم تأبه للأفكار والمعطيات السائدة في عصر التنزيل وأحدثت قطيعة معها، ونحَت نحوًا آخر يتوافق مع ما انتهى إليه العلم اليوم من حقائق ثابتة مبرهنة أو مطبقة واقعيًّا.

بوكاي يتأمل الإشارات القرآنية إلى عالم النبات والحيوان

يطرح بوكاي ملاحظة منهجية مهمة مؤداها أن بعض المفردات القرآنية التي تتعلق بهذا الفصل صَعُب على المفسِّرين شرحُها، كما صَعُبَ على المترجمين نقلُها إلى اللغات الأخرى، والسبب- في رأيه- أنهم لم يمتلكوا المعارف العلمية الحديثة اللازمة لفهم النص القرآني[1].

وقف موريس بوكاي متعجبًا من دقة الآيات القرآنية التي تشير إلى الأصل المائي للحياة وللأحياء، مثل: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء: 30]، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: 53]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ﴾ [النور: 45].

ويعلق بوكاي قائلاً: "وإذن، فسواءٌ كان المقصود هو أصل الحياة عمومًا، أو العنصر الذي يجعل النباتات تولد في التربة، أو كان المقصود هو بذرة الحيوان، فإنّ كل عبارات القرآن تتفق تمامًا مع المعطيات العلمية الحديثة، ولا مكان مطلقًا في نص القرآن لأي خرافة من الخرافات التي كانت منتشرة في عصر تنزيل القرآن"[2].

---

(1) بوكاي، السابق ص 240 - 241.

(2) بوكاي، السابق ص 242.

كما تُدهش إشارات القرآن عن "التوازن الذي في عالم النبات، والتنوع المقصود للنباتات التي تؤكل: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: 19].

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: 4].

ويقول بوكاي العالم الكاثوليكي: ومما هو جدير بالملاحظة بساطة الألفاظ المستخدمة ورصانتها.. والأهم هو غياب ذكر معتقدات ذلك العصر المناقضة للحقائق الأساسية التي يتم إثباتها في عصرنا.

وعن إشارات القرآن إلى عملية التناسل والزوجية والإنبات في القرآن، يقول: "ولكن أكثر ما يثير الانتباه، هو العبارات القرآنية الخاصة بالتناسل الجنسي واللا جنسي في النبات، ومن هذه الآيات: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الرعد: 3]، ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: 10].

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: 53]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: 95].

تأملات الدكتور بوكاي في الآيات القرآنية بشأن الحيوان

يرى بوكاي أن القرآن يقدم بعض المعطيات عن موضوعات شديدة التنوع تتعلق بعالم الحيوان، وليس فيها ما يتعارض مع العلم الحديث، ومنها:

- التناسل في عالم الحيوان.
- ذكر وجود الجماعات الحيوانية.
- إشارات إلى النّحل والعناكب والطيور.
- مقولة عن أصل لبن الحيوان[1].

(1) بوكاي: السابق نفسه.

المحاضرة الاستثنائية للدكتور بوكاي في أكاديمية الطب الفرنسية

بعد أن أصدر موريس بوكاي كتابه (الكتاب المقدس، والقرآن، والعلم الحديث) الذي تحدثنا عنه فيما سبق، بعدة أشهر، وكان قد أحدث دويًا كبيرًا، دُعي بوكاي 1976/11/9م إلى تقديم محاضرة في الأكاديمية الفرنسية للطب في French Academy of Medicine، وهي أرفع هيئة علمية فرنسية في مجال الطب، وكان عنوان المحاضرة: معطياتٌ تتعلق بالفسيولوجيا وعلم الأجنة في القرآن: Phisiological and Embryological Data in the Quran قلت: هذه المحاضرة استثنائية لأنه، وللمرة الأولى في تاريخ هذه الأكاديمية العريقة، يتحدث فيها المحاضر عن معطيات علمية حديثة تتعلق بعلم الأجنة والفسيولوجيا في كتاب ديني هو القرآن، ومعلوم أن العلماء التجريبيين scientists يزدرون ويفصلون عملهم في البحوث عن الدينية تمامًا، فضلاً عن أن كثيرًا منهم لا يأبهون أصلاً بقضية الدين.

وقد تحدث بوكاي عن محاضرته المهمة هذه، وقال: لقد أسستُ دراستي على نصوص موجودة فعلاً في القرآن ذات علاقة مباشرة بالفسيولوجيا وعلم الأجنة، وكانت فلسفتي من وراء تقديم هذه المحاضرة - التي تُقَدَّمُ إلى علماء وأطباء ومتخصصين – هو أن

نتبيَّن أنه من المستحيل أن نجد معطيات علمية دقيقة ترجع إلى القرن السابع الميلادي، عن مسائل لم تُكتشف إلا في العصر الحديث[1].

وتحدث بوكاي إلى علماء الأكاديمية عن هذه النصوص القرآنية التي وُجدت في كتاب يرجع إلى القرن السابع الميلادي، وهي تقدم إشارات دقيقة جدًا عن مسائل دقيقة لم تُكتشف إلاّ في العصر الحديث بعد سلسلة متراكمة من الدراسات والبحوث العلمية والعملية. قدم بوكاي تلخيصًا للقسم الذي عقده في كتابه بعنوان (القرآن والعلم الحديث)، وعَّلق على محاضرته قائلاً: لقد تعجب الحضورُ كثيراً من هذا الذي استمعوا إليه، ولم يعترض أي منهم على ما قُدِّم لهم في المحاضرة؛ إلاّ أن أحدهم سأل عن احتمالية أن يكون كتاب القرن السابع (القرآن) قد وقع فيه تغيير وتنقيح لنصوصه، جعلها تتوافق مع الحقائق العلمية المعاصرة، فأجابه بوكاي: يمكنك أن تذهب إلى المكتبة الوطنية، وتقارن بنفسك النسخة الحالية من القرآن، بتلك النسخة الخطية التي تعود إلى بضعة قرون خلتْ، ولن تجد أي فرق على الإطلاق[2].

---

(1) لقد فرغ د. بلال فيليبس المحاضرة التي قدمها بوكاي باللغة الفرنسية في أكاديمية الطب الفرنسية في باريس، ونقلها إلى اللغة الإنجليزية ونشرها بعنوان (The Quran And Modern Science)، سنة 1995م، وهي متوفرة على الشبكة.

(2) من إشارة د. موريس بوكاي إلى المحاضرة في الفيلم التسجيلي عن سيرته ومنجزاته.

كما أومأ الدكتور بوكاي – في عُجالة - في محاضرته إلى إشارات النصوص القرآنية إلى:

- خلق العالم.
- وبعض قضايا علم الفلك.
- والشمس والقمر.
- والنجوم والمجرات.
- والمدارات.
- والليل والنهار
- وجريان الشمس.
- وتمدُّد الكون واتساعه.
- وغزو الفضاء.
- ومسائل تتعلق بالجيولوجيا.
- ودورة المياه والبحار.
- والجبال.
- ومسائل تتعلق بالبيولوجيا.
- و.... بالنبات.

ثم شرح بشيء من التفصيل ما يتعلق بالفسيولوجيا وعلم الأجنة. وتحدث عن آية سورة النّحل التي تتحدث عن (اللّبن): ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: 66].

يقدم بوكاي شرحًا علميًا لعملية تكُوُّن اللَّبن في الحيوان وطبيعته، ثم يعلِّق على الآية بقوله: ".. هذه المعلومات المحددة تعد اليوم من مكتسبات الكيمياء وفسيولوجيا الهضم، وكانت غير معروفة على الإطلاق في عصر محمد، إن معرفتها ترجع إلى العصر الحديث ... إني أعتقد أنَّ على من يفسِّر هذه الآية ويفهمها أن يعرف أولاً الحقائق العلمية الحديثة التي تتعلق بها".

إشارات القرآن عن عملية التناسل الإنساني

يتأمل بوكاي الآيات الكثيرة التي تتحدث عن التناسل البشري، ويضع الآيات بعضها إلى جوار بعض ثم ينظر فيها متأملاً، ويعرض مضمونها على معطيات العلم الحديث التي حصّلها العلماء المتخصصون بعد تقدم علوم البيولوجيا والتشريح والفسيولوجيا، واختراع بعض الأجهزة التي تساعد في مجال البحث العلمي مثل المجهر وغيره، ويعلّق قائلاً: في القرون الوسطى، بل حتى في عصر لا يبعد عنا كثيراً، كانت ضروبٌ شتى من الخرافات تحيط بمحاولة فهم وتفسير عملية التناسل الإنساني، وهذا طبيعي جدًا لأن فهم هذه العملية يتطلب من الإنسان أن يعرف علم التشريح، وأن يكتشف المجهر، وأن يتمكن من العلوم الأساسية التي تنهل منها علوم وظائف الأعضاء والأجنة والتكاثر وغيرها.

ويستطرد: لكن القرآن يصف مراحل التناسل البشري بدقة وتحديد.. ويعبر عن ذلك بعبارات بسيطة يسهل على العقل الإنساني إدراكها.. فضلاً عن كونها تتفق تمامًا مع ما سيُكتشف بعد ذلك بقرون.

وينبه موريس بوكاي على أمرين، هما:

- أن كثيراً من الخطأ والخلط قد وقع في تفسير الآيات القرآنية التي تتعلق بعملية التناسل، وكذلك المترجمون لمعاني القرآن لم يتنزهوا عن مثل تلك الأخطاء، وسبب ذلك مفهوم لنا.
- أن إشارات الآيات القرآنية العديدة لعملية التناسل قد توافقت مع معطيات العلم الحديث، وقد تنزهت عن الوقوع في تلك التفسيرات الخاطئة والخرافية التي كانت سائدة وقت نزول القرآن.

ويلفت بوكاي نظر مستمعيه وقرائه إلى توجيهات القرآن التي تشكل ما يُطلق عليه اليوم: الثقافة أو التربية الجنسية، وأن حديث القرآن عن العلاقة الجنسية يتم بالدقة والاحتشام معًا.

ومن المحاضرات المهمة التي دُعي بوكاي إلى إلقائها تلك التي كانت سنة 1978م في معهد الكومنولث: The Commonwelth Institute, london وكانت عن "القرآن والعلم الحديث"[1].

وقد ألقى موريس بوكاي محاضرة في شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية على علماء من تخصصات شتى في العلوم الطبيعية الحديثة سنة 1989م وقد دار حولها نقاش عميق معهم[2].

---

(1) وقد نشرتها Islamic Foundation in USA، وهي متوفرة على اليوتيوب.

(2) وقد نشر الأستاذ فاروق عبد العزيز مخرج فيلم (موريس والفرعون) نص المحاضرة على الموقع الذي أسسه بعنوان: Bucaille's Legacy.com

كما قدم بوكاي سنة 1988م محاضرة في كاتدرائية قرطبة (التي كانت قديمًا الجامع الكبير في عاصمة الأندلس) عن إسهامات المسلمين في العلوم الطبيعية والكونية. وهناك عشرات المحاضرات التي ألقاها الرجل عن القرآن والإسلام، في مراكز علمية وبحثية في مشارق الأرض ومغاربها.

ثانيًا: رحلة موريس بوكاي مع الفراعنة من باريس إلى القاهرة ـ ومن القاهرة إلى باريس:

معلوم أن عِشق الفرنسيين عمومًا للحضارة المصرية القديمة عشق فريد وعميق؛ وربما كان ذلك بسبب أنهم هم الذين بعثوا الحياة في اللغة المصرية القديمة بعد أن قضى عليها تمامًا اليونان ثم الرومان من بعدهم، وبقيت لغة ميتة مجهولة من القرن الثاني الميلادي إلى القرن التاسع عشر، وبعد عثور الفرنسيين على حجر رشيد، وتمكُّن علماء الآثار المصرية وعلماء اللغات، بقيادة شامبليون، من فك رموز اللغة الهيروغليفية استطاع الفرنسيون - ومن ورائهم العالم - قراءة التاريخ المصري القديم، والتمكُّن - لأول مرة منذ قرون متطاولة، من قراءة النقوش والكتابات المسجلة على جدران المعابد والمسلاّت والأهرامات ولفائف البردي والمقابر، وهذا شجعهم على القيام بحفريات واستكشافات أثرية مكنتهم من العثور على كنوز حضارية عظيمة، وكما أشرت؛ فإن الفرنسيين هم الذين أرسَوا علمًا جديدًا أسموه (علم المصريات Egyptology) وهو علم بيني له علاقة باللغة والتاريخ والحضارة والدين والعلوم

الطبيعية. لقد حقق الفرنسيون ريادة في هذا المجال، انعكست على شغفهم الكبير بالحضارة المصرية الفرعونية.

أما الدكتور موريس بوكاي فقد اهتم بالتاريخ المصري القديم، وكانت له علاقة قوية بالجمعية الفرنسية للدراسات المصرية القديمة منذ ريعان شبابه، لكنه تعلّق تعلُّقا شديدًا بتاريخ بعض الفراعين بشكل خاص؛ وأعني به: (فرعون موسى)، أو (فرعون الخروج الذي رفض خروج بني إسرائيل من مصر فأغرقه الله في اليم)، وقد أُلهم العناية بفرعون موسى بسبب تعمُّقه في دراسة أسفار التوراة (العهد القديم Old Testamen) وعلى الأخص (سفر الخروج) الذي يروي بالتفصيل قصة خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة نبي الله موسى عليه السلام، ويُعيِّن السِّفر التوراتي (رمسيس الثاني) على أنه هو (فرعون موسى) و(فرعون الخروج) الذي أغرقه الله في البحر.

سيطرت على الطبيب العالم الفرنسي بوكاي فكرة: زيارة مومياوات الفراعنة المعروضة في المتحف المصري للآثار في القاهرة؛ وعلى الأخص مومياء رمسيس فرعون موسى، بحسب نص التوراة التي يؤمن بها ويعرفها معرفة عميقة. وفي نهاية عام 1974م شد رحاله إلى القاهرة، وزار المتحف المصري وشاهد مومياء رمسيس وبقية مومياوات الفراعنة.

لاحظ بوكاي أن هذه المومياوات في حاجة سريعة ماسة إلى العناية الشديدة بها، وهي في حاجة كذلك إلى فحص شامل وإجراء ما يلزم من أجل الحفاظ عليها.

وتواصل مع السيدة حرم الرئيس أنور السادات التي كان يعالج أحد أفراد أسرتها في عيادته في باريس، وعرض مشروعه بشأن فحص المومياوات المصرية ومعالجتها، ووافق الرئيس السادات، بل وتحمّس لمقترح الدكتور بوكاي، وقررت الحكومة المصرية تحمُّل النفقات المالية وتقديم كافة التيسيرات الضرورية، وتشكّل فريق بحثي طبي من علماء وأطباء مصريين كبار ترأسهم بوكاي، واضطلع الفريق المصري الفرنسي بهذه المهمة الطبية الفريدة من نوعها، وكلفتهم أكثر من عام (1974\1975م) لإتمامها في القاهرة، وقد قدّم بوكاي وفريقه تقريرًا طبيًا مفصلاً ومزودًا بالصور لما كان عليه حال المومياوات، وللمعالجات الطبية التي أُنجزت.

وقد كتب الدكتور بوكاي دراسة مستضيفة عن هذا التقرير الطبي ونشرها في كتاب باللغة الفرنسية سنة 1987م، ثم نُشرت للكتاب ترجمة إنجليزية بعنوان:

Mummies of the Pharaohs, Modern Medical Investigations, St. Martin Press, 1995

مومياوات الفراعنة: فحوص طبية حديثة[1].

وقد أحدث مشروعه وتقريره عن الفحوص الطبية الحديثة التي أجراها مع فريقه، على مومياوات الفراعنة في القاهرة صدى

(1) لا شك في أن إنجاز الدكتور بوكاي هذا كان رائدًا ورائعًا أيضًا، وقد أفاده كثيراً في مشروعه العلمي الكبير، وقد أفاد الإنسانية بحسبان هذه المومياوات إرثًا إنسانيًا.

علميًّا وإعلاميًّا واسعًا، وقد دعته الأكاديمية الوطنية الفرنسية للتاريخ لإلقاء محاضرة بها عن نتائج مشروعه، كما منحته جائزتها السنوية التي تُمنح لطبيب مؤرخ عادة عن الأعمال العلمية التي تتعلق بالحضارة المصرية القديمة، أو تتعلق بالعلاقات بين مصر وفرنسا، أو تتعلق بالتاريخ الحضاري لمنطقة البحر المتوسط، وهي جائزة رفيعة القدر تمنح لطبيب[1].

وبينما كان الدكتور موريس بوكاي يفحص مومياء رمسيس الثاني انقدحت في عقله فكرة جريئة، هي نقل مومياء هذا الفرعون من القاهرة إلى باريس لمعالجتها وترميمها، ثم إعادتها إلى مستقرها بالقاهرة[2].

وكان عليه أن يبذل جهده الخاص في القاهرة وباريس للموافقة على نقل مومياء الفرعون إلى باريس، وقد جرت اتصالات مهمة بين الرئاستين الفرنسية والمصرية لتنسيق العملية وتأمين المومياء وضمان سلامتها، وكان بوكاي وراء كل هذه الاتصالات،

---

(1) كما أن بعض الصحف الكبرى قد نشرت عرضًا التقرير الذي نشر في كتاب، مثل صحيفة The Los Anglos Times ، في 1990/12/18م، وكذلك نشر w. Browne عرضًا للكتاب في صحف The New York Times في 1991/2/3م بعنوان: All Wrapped up in his work

(2) وقد ذكر ذلك غير مرة في كتابيه: - Mummies of the Pharaohs, - Moses and Pharaoh.

وكذلك في لقائه المهم مع علماء شيكاغو سنة 1989م، وفي الفيلم التسجيلي (موريس والفرعون).

ووافقت الحكومتان، وأقلعت الطائرة التي تحمل مومياء رمسيس الثاني، وعندما حطت في باريس أُجريت لها مراسم استقبال رسمي من الجمهورية الفرنسية، وبعد انتهاء مراسم الاستقبال انطلقت المومياء إلى متحف اللوفر في باريس، وحرص الفرنسيون على أن تمر مومياء رمسيس الثاني بالمسلة التي كان قد نقش عليها أهم إنجازاته قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام، وطافت حول المسلة بعض الوقت ثم نقلت المومياء إلى اللوفر.

وهناك بدأت عملية فحص المومياء ومعالجتها، وقد استمرت تلك العملية بضعة أشهر، ثم تم عرضها في متحف اللوفر، ثم وُدِّعَت في مطار باريس وداعًا رسميًا من الحكومة الفرنسية، كي تعود إلى متحف القاهرة للآثار. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن ثمة خلافًا جادًّا قد وقع بين بوكاي وبين القائمين على أمر متحف اللوفر في باريس سببه غيرةُ هؤلاء، كما تذكر المراجع الغربية[1]، وحَسَدُهم الدكتور بوكاي الذي استطاع- بجهدٍ خاصٍّ منه وباتصالاته الشخصية

(1) يصف الباحث Stefano Bigliardy العملية في بحث له عن الدكتور موريس بوكاي نشره في مجلة the Muslim World، سنة 2012م، فيقول: لقد كانت العملية التي أطلق عليها Operation of Rameses عملية معقدة، اقتضت اتصالات مكثفة بين الحكومتين الفرنسية والمصرية، وتم تغطيتها إعلاميًا عبر مؤتمرات صحفية عديدة واستقبلت المومياء في 26 /1976/9م في باريس استقبال رؤساء الدول.
ويقول ستيفانو بلياردي: لم يتمكن بوكاي من الانخراط في العمل بالشكل الذي كان يجب أن يكون، وذلك بسبب مضايقات من القائمين على المتحف دوافعها ليست بعيدة عن الحسد والغيرة.

بالمسئولين في مصر وفرنسا - أن ينجز هذا المشروع المهم الذي أطلق عليه (عملية رمسيس Operiation of Rameses)

لقد انشغل الطبيب العالم موريس بوكاي بفحص وترميم مومياوات الفراعنة المصريين في القاهرة وباريس من أواخر 1974م حتى 1977م، وقد نشر تقريره المفصّل في كتابه الذي ذكرناه من قبل. لكن عملية الفحص والترميم كانت الشطر الأول من مشروعه الكبير، وهو (دراسة الكتب المقدسة والقرآن) مرة: في ضوء العلم الحديث، وقد نشر في ذلك كتابين، هما (الكتب المقدسة، والقرآن، والعلم الحديث)، و(ما أصل الإنسان في ضوء التوراة والقرآن والعلم).

وقد أتاح فحصه لمومياوات الفراعنة فرصة ذهبية لإنجاز الشطر الثاني من مشروعه الكبير، وهو: دراسة الكتب المقدسة في ضوء حقائق التاريخ[1].

وقد نشر بوكاي دراسته هذه في كتابه الأخير الذي نشره سنه 1994م بعنوان: موسى والفرعون؛ العبرانيون في مصر: تعاليم الكتب المقدسة والتاريخ

Moses and Pharaoh, The Hebrews in Egypt: Teachings of the Holy Scriptures and History وقد نشر في طوكيو في اليابان[2].

---

(1) يعني درس بوكاي الأسفار المقدسة في ضوء العلم الحديث مرة، ودرسها في ضوء حقّائق التاريخ أخرى.

(2) تناول بوكاي في هذا الكتاب مسائل مهمة جدًا تتعلق بفحص مومياوات رمسيس الثاني (ص 18، 77- 80)، ومرنبتاح (ص 199 – 202)، وقد برهن فيه على فكرته الأثيرة لديه، وهي: أن رمسيس الثاني كان فرعون =

درس بوكاي ما جاء في سفر الخروج الذي جُعل كله لبيان خروج موسى وبني إسرائيل من مصر قاصدين الأرض التي وُعدوا بها، والمعجزة التي حدثت إذ جعل الله لهم طريقًا يبسًا في ماء البحر فعبر موسى وبنو إسرائيل سالمين إلى سيناء، واتَّبعهم فرعون وجنوده فأغرقهم الله جميعًا وأغرق الفرعون معهم.

وبعد أن درس بوكاي رواية التوراة، درس رواية القرآن عن نفس الواقعة، وجاءت هذه الدراسة في ضوء معطيات التاريخ وحقائقه، وفي ضوء ما تحصل عليه من حقائق مادية ملموسة من فحصه مومياوات رمسيس الثاني وابنه الفرعون مرنبتاح.

يبدأ بوكاي فيوجه نقدًا ساخرًا لأولئك الذين ينظرون إلى حادثة يبس البحر الأحمر- لكي يتمكن موسى ومن معه من بني إسرائيل من الخروج، ثم إطباق البحر بعد ذلك على فرعون وجنوده - بأنه حادث أسطوري رمزي وليس حقيقيًا، يصف بوكاي ما وقع بأنه حدث تاريخي مؤكد بسياقه المعروف وشواهده التاريخية.

ثم يقارن بوكاي بين روايتي التوراة والقرآن ويُقيِّم كلا منهما في ضوء معطيات التاريخ وشواهده. وكان السؤال الحاسم المطروح عليه: منْ هو فرعون الخروج الذي أغرقه الله في اليم؟ وهل كان هو رمسيس كما تذكر التوراة؟

= الاضطهاد والطغيان، بينما كان مرنبتاح فرعون الخروج والغرق، وفصل القول في مسألة وجود العبرانيين في مصر وخروجهم منها، وقارن بين روايتي التوراة والقرآن في ضوء حقائق التاريخ.

ويفصل بوكاي الروايتين (التوراتية والقرآنية)؛ فيشير إلى أن التوراة قد خصّصت السفر الثاني من الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى والتي يُطلق عليها Pentateuque لسرد الواقعة، أما القرآن فقد أفرد مساحة كبيرة لسرد رواية الخروج، فسرد علاقة موسى وأخيه هارون بفرعون، ثم أورد قصة الخروج في (عشر) سور قرآنية، ويلاحظ بوكاي أن كلمة (الفرعون) قد تكررت في القرآن (أربعًا وسبعين مرة) في (سبع وعشرين سورة).

ويرى موريس بوكاي أن روايتي التوراة والقرآن تتماثلان في عناصر جوهرية، لكن تزيد كل واحدة منهما على الأخرى زيادة مهمة جدًا؛ فقد وضعتنا رواية التوراة على طريق اكتشاف شخصية فرعون، أو بالأحرى شخصية الفرعونين المعنيين بالأمر. وقد أورد القرآن إضافة جوهرية حاسمة..، وبمقابلة روايتي التوراة والقرآن، إضافة إلى المعطيات الحديثة التي هيأها علم دراسة الآثار المصرية، يمكننا الوصول إلى نتائج موثوق بها في تحديد شخصية فرعون موسى، أو فرعون الخروج[1].

(1) وهذا أمر من الأهمية بمكان عظيم لدى أتباع الديانات الثلاث، لأنه يمكنهم من فهم التوراة والقرآن، ووقائع تاريخ الأديان وتاريخ المصريين القدماء.

الخروج بحسب رواية التوراة

يلخص الدكتور بوكاي رواية الخروج بحسب التوراة قائلاً: تبدأ الرواية بالتذكير بدخول اليهود إلى مصر مع يعقوب للاستقرار مع يوسف.

ثم استمر بقاؤهم في مصر إلى أن جاء زمن اضطهادهم على يد ملك جديد صعد إلى حكم مصر (ولم يكن يعرف يوسف) سفر الخروج 8/1 وفرض هذا الفرعون على اليهود بناء مدينتين تعطيهما التوراة اسم: بتوم Pitom، ورمسيس Ramses، ولكي يتجنب هذا الملكُ التزايدَ السكاني عند العبرانيين، قد فرض عليهم أن يلقوا إلى النهرِ بكل طفل ذكر.

وبالرغم من ذلك، فإن أم موسى احتفظت به طوال ثلاثة أشهر بعد ميلاده، ولكنها تقرر في نهاية الأمر أن تضعه في سلةٍ من الأسل على شاطئ النهر. وتكتشفه ابنة الفرعون، وتلتقطه لتضعه بالتحديد بين يدي أمه لترضعه؛ ذلك أن أختَ موسى التي كانت تراقب السلة لتعرف من الذي سيلتقطها، تظاهرتْ بأنها لا تعرفه، وأوصتْ إلى الأميرة بمرضعة، ولم تكن هذه المرضعة إلا أم الطفل الوليد. ويَلقى الطفلُ معاملة أبناء الفراعنة ويُعطي له اسم (موسى)

ويسافر موسى شابًا إلى أرض مدين، ثم يتزوج ويمكث طويلاً، وهناك تفصيلةٌ مهمة، إذ يقول سفر الخروج: وأثناء هذه الفترة الطويلة ماتَ ملكُ مِصْرَ.

ويأمر الله موسى أن يذهب للقاء فرعون ليخرج إخوتَه من مصر (سَردُ هذا الأمر موجود في رواية حادثة شوك - النار). ويساعد

هارون أخاه في إنجاز هذه المهمة. ولذلك، ما إن يصل موسى إلى أرض مصر حتى يذهب مع أخيه إلى فرعون الذي ورِثَ ذلك الفرعون الذي كان موسى قد وُلد في عهده منذ زمن طويل.

ويرفض فرعون طلب خروج اليهود، طائفة موسى، من مصر. ويَظهرُ الله من جديد لموسى ويأمره أن يكرر الطلب مرة أخرى. وكان عمر موسى في ذلك الوقت 80 عامًا بحسب التوراة. ويثبت موسى لفرعون بالسحر أن له قوى خارقة فوق الطبيعة، لكن هذا لا يكفي، وعندئذ يُنْزِل الله على مصر الضربات المعروفة على مياه النهر التي تتحولَ إلى دم، وغزو الضفادع والناموس، وموت القطط، وظهور الأورام على جلود البشر والحيوانات، وسقوط البرد والجراد، والظلمات وموت المواليد الأولين. وبرغم ذلك، يظل فرعون يرفض خروج العبرانيين. وعندئذ يهربون من مدينة رمسيس، وكان عددهم 600.000 رجل[1] (دون حساب أسرهم) (الخروج 12، 37). وهناك "أَسْرجَ فرعونُ عربته الحربية وقادة جيشه وانطلق ملك مصر مطاردًا الإسرائيليين الخارجين مرفوعي الأيدي". ويلحق المصريون بجماعة موسى على شاطئ البحر. "وعندما رمى موسى عصاه انفتح البحر أمامه، ودخل رجاله دون أن تبتل أقدامهم. وطاردهم المصريون ودخلت جياد فرعون ومركباته وفرسانه كلهم إلى البحر. وارتد ماء البحر كما كان وغطى مركبات وفرسان كل جيش فرعون الذي دخل البحر وراءهم ولم يبق منهم رجل واحد".

(1) سنرى فيما بعد أن هذا العدد مبالغ فيه فعلاً.

إن نصّ سفر الخروج واضح تمامًا. كان فرعون على رأس المطارِدين وقد هلك؛ لأنّ سفر الخروج يحدد أنه (لم يبق منهم رجل واحد). ويضاف إلى ذلك أن التوراة تكرر هذه التفصيلة في مزامير داود: (المزمور 106، 11، والمزمور 136 الآيات 13- 15) في حَمدٍ "للذي شق البحر" بحسب رواية التوراة. لا شك إذن أن فرعون الخروج قد مات في البحر. ولا تقول التوراة كلمة عن مصير جثة هذا الفرعون.

الخروج بحسب رواية القرآن

تشبه رواية القرآن عن الخروج رواية التوراة في الخطوط العريضة. ولا بد من إعادة جمع هذه الرواية، فهي تتكون من عناصر منتشرة في آيات عديدة من القرآن. ومثل التوراة، لا يذكر القرآن اسم أحد بما يسمح بتحديد شخصية الفرعون الذي كان يحكم مصر عند حدوث الخروج. وكما نعرف، فإن أهم أعضاء مجلسه كان اسمه (هامان)، وهو مذكور ست مرات في القرآن (سورة القصص: الآيات 6، 8، 38، سورة غافر: الآيتان 24 و36، وسورة العنكبوت: الآية 39).

الفرعونُ مُضطَّهِد اليهودَ:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم:6]

وتكرر الآية (141) من سورة الأعراف ذكر الاضطهاد بنفس الألفاظ. ولكن القرآن لا يشير، مثل التوراة، إلى اسم المدينتين اللتين بناهما اليهود في السخرة.

وأما حادثة وضع موسى على حافة النهر فهي مسرودة في سورة طه (الآيتان 39 و40)، وفي سورة القصص (الآيات 7 - 13). وتقول رواية القرآن إن عائلة فرعون هي التي التقطت موسى. تقول الآيتان 8، 9 من سورة القصص ما يلي: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

ويقول التراث الإسلامي: إن زوجة فرعون التي رعت موسى هي آسيا. أما القرآنُ فلا يقول بأن زوجة فرعون هي التي التقطته وإنما آله، أي: أهل بيته.

وأما شباب موسى ومكوثه بأرض مدين وزواجه فكل هذا مسرود في سورة القصص: الآيات من 13- 28.

ويجد القارئ أيضًا حادثة شوك النار في الجزء الأول من سورة طه، وفي الآيات من 30 إلى 35 من سورة القصص.

ولا يذكر القرآن ضربات مصر العشر التي أنزلها الله عقابًا مثلما تصفها التوراة بإطناب، ولكنه يذكر بشكل موجز جدًا خمس ضربات (سورة الأعراف: الآية 133)، وهي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

ويقص القرآن الخروج من مصر دون التحديدات الجغرافية التي تسردها رواية التوراة، ودون التحديدات العددية الواردة في هذه الرواية والتي يصعب تصديقها. إذ لا نرى كيف استطاع 600.000 رجل بأسرهم أن يمكثوا طويلاً في الصحراء بحسب قول التوراة.

أما موت فرعون وهو يطارد بني إسرائيل فيسرده القرآن على الوجه التالي: (سورة طه، 78) ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾. أما الآيات من سورة يونس، فتقول: لقد هرب اليهود وهلك فرعون (ولكن جثته وجدت) وتلك تفصيلة مهمة لا تشير إليها التوراة: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس]. وتتطلب هذه الفقرة تحديدين:

أ- روح البغي والعدوان المشار إليهما، وذلك بالنظر إلى محاولات الاقناع التي قام بها موسى تجاه فرعون.

ب- أن إنقاذ فرعون ينطبق على بدنه، وذلك أن الآية 98 من سورة هود تحدد أن الله-عز وجل- قد حكم بعذاب النار على فرعون وآله. تقول الآية: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾. وإذن، فبالنسبة إلى الأمور التي تحتمل المقابلة مع المعطيات التاريخية

والجغرافية والأثرية يجب ملاحظة أن رواية القرآن تختلف عن رواية التوراة في النقاط التالية:

- لا يذكر القرآن أسماء أماكن، سواء أكان ذلك بالنسبة إلى المدن التي بناها العبرانيون من جماعة موسى، أو بالنسبة إلى خط مسير الخروج.
- لا يذكر القرآن موت أحد الفراعنة في أثناء مكوث موسى بأرض مدين.
- لا يحتوي القرآن على إشارات عن عمر موسى عندما تحدث إلى فرعون.
- لا يحتوي القرآن على تحديدات عددية خاصة بجماعة موسى التي تُضخِّم التوراة عددها وتصل بها إلى أرقام غير معقولة (فـ 600.000 رجل بأُسَرِهِم يكونون احتمالاً جماعة أكثر من مليونين من السكان).
- لا تحتوي التوراة على أي إشارة خاصة بالعثور على جثة فرعون بعد موته.

أما النقاط المشتركة التي يمكن التنويه بها فيما يختص بموضوعنا فهي:

- تأكيد القرآن لاضطهاد فرعون لليهود من جماعة موسى.
- عدم احتواء الروايتين على اسم ملك مصر.
- تأكيد القرآن موت فرعون غرقًا عند خروجه من مصر مُتعقبًا موسى وبني قومه.

موريس بوكاي والفرعون

لم يكن الدكتور بوكاي مجرد طبيب يفحص مومياوات الفراعنة فحصًا طبيًّا فحسب، مثل الأطباء المصريين الكبار الذين شاركوه هذه المهمة؛ وهم د. مصطفى المنيلاوي، ود. رمسيس، ود.المليجي، لكنه كان رجلاً شغوفًا بتاريخ المصريين وواحدًا من المهتمين بعلم المصريات Egyptology، وعضوًا منذ شبابه الباكر، بالجمعية الفرنسية للآثار المصرية بحسب كلام W. Browne[1] The New York Times ولقد اجتمعت للدكتور موريس بوكاي من أدوات البحث العلمي التي درس بها تاريخ فرعون موسى، ما لم يجتمع لغيره من الباحثين الغربيين والشرقيين على الأرجح؛ لأنه كان متضلعًا من دراسة أسفار التوراة والقرآن، وكان دارسًا للغة العربية، وقد نجح في سعيه لفحص مومياوات الفراعين؛ وعلى الخصوص رمسيس الثاني وخليفته على العرش مرنبتاح، وكذلك اطلاعه على الدراسات النقدية المنهجية لنصوص التوراة، وتاريخها، وكل ذلك قد مكّنه - كما قلنا - من نشر كتابين[2] عن الفراعنة الذين فحص

---

(1) في 1991/2/3م.

(2) هما: Mummies of the Pharaohs.

Moses and Pharaoh.

وهذان الكتابان لم يترجما إلى اللغة العربية فيما أعلم.

مومياواتهم في القاهرة وباريس، ومن حصوله على جائزة الأكاديمية الفرنسية.

ولقد تركزت دراسته على كشف مَنْ هو فرعون الخروج، وعلى إضاءة فترة وجود العبرانيين في مصر. ويعتمد في ذلك على معطيات نصوص التوراة والقرآن وما وجد من وثائق التاريخ، وعلى نتائج الفحوص الطبية التي باشرها مع فريقه لمومياوات الفراعين.

وعن المدة التي مكثها بنو إسرائيل في مصر يقول بوكاي: يبدو فعلاً أن بالإمكان القول - دون مجازفة - أنهم استقروا في مصر مدة (400 - 430 سنة).

وقد رفض تقديرات بعض الباحثين، مثل ب. مونتي Montet، ودانيل روبس Daniel Rops وناقشهم مناقشة عميقة، لكن الأمر الذي يحتاج إلى تفسير، هو أن الوثائق الهيروغليفية من نقوش وبرديات لا تذكر بوضوح مسألة استقرار بني إسرائيل في مصر، وإن كانت بعض الوثائق تشير إلى أنه قد وُجدت في مصر فئة من العاملين تسمى (أبيرو apiru) أو هبيرو hapiru، وقد أشير بهذين الاسمين إلى عمال الزراعة والبناء، ولكن يبقى السؤال: من أين أتوا، وهل هم العبرانيون؟

ينقل بوكاي عن الأب ديفو de Vaux أنهم -أي الأبيرو- لا ينتمون إلى السكان المحليين، ولا يجدون هويتهم في طبقة من المجتمع المصري، وليس لهم عمل واحد ولا وضع واحد. وينقل بوكاي عن برديات ترجع إلى عصر تحتمس الثالث تشير إلى هؤلاء

الأبيرو [الذين يفترض أنهم هم العبرانيون]، كما أن أمينوفيس الثاني قد جلب منهم عدداً كبيراً كانوا سجناء في كنعان. وفي عهد رمسيس الثاني كان منهم من يعمل بالمحاجر ونقل الأحجار للمنشآت الفرعونية. ويذكر بوكاي أن التوراة تشير إلى أن العبرانيين في حكم رمسيس الثاني قد بنوا له عاصمة الشمال: مدينة رمسيس (رع - مسيس)، وتشير الكتابات المصرية مرة أخرى إلى هؤلاء الأبيرو في القرن الثاني عشر في حكم رمسيس الثالث.

وليس هناك شك في أن رمسيس الثاني كان يضطهد العبرانيين، هذا، وتقع مدينتا رمسيس وبيتوم المذكورتان في سفر الخروج في شرق النيل، وربما كانت (تانيس) الحالية و (قنطير)، اللتان تبعدان 25 كم كل منهما عن الأخرى، مطابقتين للمدينتين القديمتين اللتين أجبر الفرعون بني إسرائيل على بنائهما. ويختم بوكاي بأن رمسيس الثاني كان "فرعون الطغيان"، وقد وُلد موسى في زمنه، في هذا السياق من اضطهاد بني إسرائيل، وقد رأينا ظروف إلقاء موسى وهو رضيع في ماء النهر وأن آل فرعون قد التقطوه، وربَّوه وأطلقوا عليه اسم مِيسُو meso، أو mesy، وهما اسمان موجودان في معجم رانكه Ranke بحسب ما أثبته الباحث الأب مونتي[1]. وينتهي بوكاي إلى أن الاسم نقل إلى العربية "موسى".

(1) في كتابه (مصر والتوراة)، ولم يترجم من الفرنسية إلى العربية فيما أعلم.

رمسيس الثاني هو: فرعون الاضطهاد، وابنه الفرعون مرنبتاح هو: فرعون الخروج

يخلص بوكاي، بعد دراسات ومقارنات لما ورد في سفر الخروج وغيره وللقرآن الكريم، ولما أتيح له من معطيات تاريخية أنه لم يكن لموسى عليه السلام، فرعون واحدٌ، كما هو الشائع بين كثير من الناس، ولكن كان لموسى فرعونان، هما: فرعون القهر والطغيان، وهو رمسيس الثاني الذي مات عندما كان موسى في أرض مدين، وفرعون الخروج الذي أغرقه الله في البحر أثناء مطاردته لموسى وبني إسرائيل، وهو الفرعون منتباح (أو مرنبتاح) خليفة رمسيس الثاني وابنه.

يذكر بوكاي أن اسم (رمسيس) قد ذكر أربع مرات في أسفار موسى الخمسة (التكوين 11/47، الخروج 12/11، 37، والعدد 33/ 3، 5/33)، وتكتب كلمة رمسيس في عبرية التوراة بطريقتين، ومما يذكر أن شامبليون قد أشار إلى طريقة كتابة كلمة رمسيس في كتابه (مختصر المنهج الهيروغليفي لقدماء المصريين)، ط 2، 1828م، ص 276.

وبعد أن توفي الفرعون رمسيس الثاني، تولى العرش ابنه مرنبتاح، وفي عصره رجع موسى من مدين إلى مصر، وبعد سنوات قاد موسى قومه للخروج من مصر فأتبعه الفرعون مرنبتاح فأغرقه الله في البحر.

ثم يناقش الدكتور بوكاي نُصُب الفرعون مرنبتاح الذي سجل فيه انتصاراته، ومنها انتصاره على إسرائيل، وهي المرة الوحيدة التي تذكر كلمة إسرائيل في الوثائق الهيروغليفية المكتشفة، وكان هذا النصب التذكاري قد اكتُشف في المعبد الجنائزي للفرعون في طيبة، وجاء في نهايته: إسرائيل التي مُحيتْ ولم يعد لها بذور ...، ويعود هذا النصب إلى سنوات حكم مرنتباح الأولى، يعني قبل خروج موسى الذي أُغرق فيه الفرعون مرنتباح.

ويسأل بوكاي: هل كان هناك إسرائيل على حدود مصر؟

ويجيب: لم تكن هناك دولة إسرائيل، أو جماعة سياسية مستقرة تسمى إسرائيل، ولكن ربما كان الأبيرو أو الهبيرو هم المقصودين بهذا، أو ربما كان هناك خروج لجماعة صغيرة آبقة من مصر، وذلك قبل الخروج النهائي مع موسى. لأن مملكة إسرائيل لم تتكون إلا في القرن العاشر قبل الميلاد، أي بعد خروج موسى الذي يحدد بنحو 1450 ق.م.

موريس بوكاي ومومياء الفرعون مرنبتاح[1]

يقدم بوكاي لحديثه عن تجربته الشخصية في فحص مومياء الفرعون مرنبتاح فحصًا طبيًا، في القاهرة، بجديث مهم عن رواية كل من التوراة والقرآن عن موت الفرعون عند الخروج، فيقول: يمثِّل موتُ الفرعون، في أثناء خروج موسى والعبرانيين غرقًا، نقطة مهمة في روايتي التوراة والقرآن.

ويلاحظ بوكاي أن الكتاب المسيحيين الكبار، مثل دي فو في كتابه (تاريخ إسرائيل القديم)، ومونتي في كتابه (مصر والتوراة) لا يهتمون بمسألة موت فرعون الخروج الذي كان على رأس الملاحقين للهاربين.

ويرى بوكاى أن هذا الموقف يتناقض مع موقف اليهود الذين يتخذون من الخروج طقسًا ينشدون فيه شكرًا للرب الذي أغرق فرعون وجيشه في بحر القصب (مزامير داود / 15:136) ويدركون نص سفر الخروج الذي يروي تلك الوقعة: "واندفعت المياه وغمرت العربات والفرسان كل جيش فرعون الذين دخلوا وراءهم في البحر، فلم يبق منهم أحد قط" (سفر الخروج 14،28،29). فليس لدى اليهود شك بأن فرعون قد أُبيد مع جميع جنوده.

---

(1) وقد شغل تقرير فحص مومياء مرنبتاح أكثر من 33 صفحة من كتابه: Mummies of the Pharaohs... بينما شغل تقرير فحص مومياء رمسيس الثاني في القاهرة وباريس أكثر من ستين صحيفة من الكتاب المذكور. وهناك وصف لظروف حفظ المومياوات في القاهرة واقتراحات من بوكاي وفريقه تتعلق بتحسين ظروف حفظ المومياوات الفرعونية، فضلاً عن دراسة موجزة عن الفرعونين رمسيس ومرنبتاح.

ويلاحظ بوكاي أنه على الرغم من أن هذه النصوص موجودة في التوراة المسيحية، إلاّ أنّ الشراح المسيحيين لا يتحدثون بوضوح عن موت فرعون الخروج، كما يلاحظ بوكاي أيضًا أن بعض الشراح المسيحيين يذكرون ما ورد في القرآن بهذا الصدد، لكنهم يُحرضون قراءهم على إجراء مقارنات غريبة. انظر مثلا ترجمة التوراة التي تمت بإشراف مدرسة الكتاب المقدس بالقدس عند حديثها عن سفر الخروج (طبعة 1968م ص73) - تعليق الأب المسيحي كوروايبه couroye، وهو أستاذ بالمدرسة المذكورة - الذي يتعلق بموت فرعون. يقول الأب: "يشير القرآن إليه (أي: إلى موت الفرعون) (في سورة يونس/ 90- 92)، وعلى حسب التراث الشعبي فإن فرعون قد ابتُلع مع جيشه (وهذا ما لا يقوله النص المقدس) وهو الآن يسكن قاع البحر....، ويحكم مملكة عجول البحر) [1].

إن القارئ الذي لا يعرف محتوى القرآن يُنشئ في هذه الحالة، وهذا طبيعي، علاقةً بين دعوى القرآن المناقضة لنص التوراة - في رأي المعلق فقط – وبين هذه الخرافة المضحكة التي تنبع، فيما يقال، من أساطير شعبية، والتي يشار إليها في التعليق بعد الإشارة إلى القرآن[2].

إن واقع المقولة القرآنية فيما يختص بهذا الموضوع لا صلة له بما يوحي به هذا الكاتب: فالآيات من 90 - 92 من سورة يونس

(1) أي: فقمة البحر.

(2) على الرغم من توافق التوراة مع القرآن في هذه المسألة، فإن الأب كوروايبه يدلِّس على قرائه، ويدَّعي على القرآن ما ليس فيه.

تقول بأن بَني إسرائيل قد عبروا فعلاً البحر حين كان فرعون وجيشه يطـاردهـم، وبأن فرعون، والبحر على وشك أن يطويه، قد صاح: ﴿... ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾، فأجاب الله: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

ذلك كل ما تحتويه هذه السورة، فيما يختص بموت فرعون. وليس في هذه السورة ولا في أية سورة أخرى، شيء له علاقة بتلك الأوهام التي يبرزها المعلق على التوراة. إن النص القرآني يقول ببساطة وبشكل واضح تمامًا إن جسد فرعون قد أُنقذ، وتلك معطاة رئيسة.

وفي العصر الذي وصل فيه القرآن إلى الناس عن طريق محمد ﷺ، كانت جُثَثُ كل الفراعنة الذين شك الناس في العصر الحديث- صوابًا أو خطأ- أن لهم علاقة بالخروج، كانت مدفونة بمقابر وادي الملوك بطيبة على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية. في عصر محمد ﷺ، كان كل شيء مجهولاً عن هذا الأمر، ولم تُكتشف هذه الجثث إلاّ في نهاية القرن التاسع عشر. وكما يقول القرآن فقد أُنقذ بَدَنُ هذا الفرعون. وأيًّا كان هذا الفرعون فهو الآن في قاعة المومياوات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة ويستطيع الزوار أن يَروه.

إذن، فالواقع يختلف تمامًا عن تلك الخرافة المضحكة التي ربطها الأب كورواييه خطأ بالقرآن.

في عام 1898 بوادي الملوك بطيبة اكتشف لوريت loret مومياء مرنبتاح ابن رمسيس الثاني، وكل المعطيات تسمح بالاعتقاد بأنه فرعون الخروج، ومن هناك نُقلت المومياء إلى القاهرة ورفع إليوت سميث Elliot Smith عنها أربطتها في 8 يوليو 1907.

ويصف إليوت سميث في كتابه The Royal Mummies المومياء الملكية (1912م) بروتوكول هذه العملية وفحص الجثة. وفي ذلك الوقت كانت المحافظة على المومياء مُرضية بالرغم من بعض التدهورات في نقاط عدة. ومنذ ذلك التاريخ والمومياء معروضة للزوار بمتحف القاهرة، مكشوفة الرأس والرقبة، أما بقيةُ الجسم فهو مغطى بقطعة من القماش إلى حد أنه حتى هذه الشهور الأخيرة لم يكن المتحف يملك صورًا فوتوغرافية عامة لجسم المومياء سوى تلك التي يحتوي عليها كتاب إ. سميث (1912م).

في يونيو 1975 سمحت لي السلطات المصرية العليا بدراسة أجزاء جسم فرعون التي كانت مغطاة حتى ذلك الوقت، كما سمحت لي بأخذ بعض الصور. وعندما أقيمتْ المقارنةُ بين حالة المومياء الحالية وما كانت عليه منذ أكثر من 60 عامًا اتضح جليًّا أن حالة المومياء قد تدهورت وأن هناك أجزاء منها قد اختفت. فقد عانت الأنسجة المحنطة الكثير على أيدي البشر بالنسبة إلى بعض الأجزاء، وبسبب آفة الزمن بالنسبة لأجزاء أخرى.

وبسبب هذا التدهور الطبيعي يتضح أن ظروف الاحتفاظ بالمومياء قد تغيرت تمامًا منذ أن اكتُشفت المومياء في نهاية القرن التاسع عشر في قبر بمدفن مدينة طيبة، حيث كانت منذ أكثر من ثلاثة

آلاف عام. وهي معروضة الآن تحت غطاء زجاجي بسيط، لا يفصلها بشكل تام عن الجو الخارجي ولا يمنع تلوثها بالجسيمات الميكروبية، كما أنها عرضة لفروق درجات الحرارة الجوية وغير محمية مما قد يصيبها بسبب الرطوبة السنوية. لكل هذه الأسباب، فالمومياء بعيدة كل البعد عن الظروف التي سمحت لها بأن تعبر ثلاثة آلاف سنة على وجه التقريب في حمى من كل أسباب التدهور هذه. لقد فقدت حماية أربطتها، وميزة المكوث بوسط مغلق في قبر؛ حيث الحرارة أكثر استقرارًا والهواء أقل رطوبة من جو يعج بغارات القوارض أو لصوص القبور، وذلك كما هو محتمل منذ زمن بعيد جدًا، وقد تسبب هؤلاء في بعض الأضرار، وبالرغم من ذلك فقد كانت الظروف، فيما يبدو، أكثر مواءمة من اليوم لمقاومة آفة الزمن.

وفي أثناء فحص هذه المومياء في يونيو 1975 بَدَأَت بمبادرة مني دراساتٌ خاصة؛ فقد قام الطبيبان المليجي ورمسيس بدراسة طبية بالأشعة السينية، على حين قام الدكتور مصطفى المنيلاوي بفضل ثغرة في جدار القفص الصدري بدراسة جوف القفص الصدري والبطن، وقد حقق بذلك أول دراسة بالمنظار الداخلي على مومياء. وقد سمح هذا برؤية وتصوير بعض التفاصيل الهامة جدًا داخل الجسم نفسه. ومع الدراسة الميكروسكوبية لبعض أجزاء صغيرة وقعت تلقائيًا من جسم المومياء، وهي دراسة سيقوم بها بباريس البروفيسور مينو Mignot والدكتور دوريجون Durigon، ستكتمل الدراسة الطبية الشرعية العامة التي سيقوم بها البروفيسور سيكالدي Ceccaldi. وما يمكن استنتاجه من هذه الدراسة، هو ملاحظة آفات عظيمة عديدة، مع ثغرة في مادة الجسم - ربما كان

البعض منها قاتلاً - دون أن يكون ممكنًا الآن القول بما إذا كان بعضٌ منها قد حدث قبل أو بعد موت فرعون. فهذا الفرعون قد مات؛ إما غريقًا على حسب روايات الكتب المقدسة، وإما بسبب رضوض عنيفة جدًا سبقت ابتلاع البحر له أو ربما للسببين معًا.

إن ربط كل هذه الآفات بالتدهورات التي تحدثنا عن أسبابها تجعل من العسير الاحتفاظ في المستقبل بهذا الجسم المحنط ما لم تُتخذ إجراءات الإنقاذ اللازمة في مستقبل قريب جدًا. وسيكون من شأن هذه الإجراءات أنها ستجنبنا فقدان الشاهد المادي الوحيد الباقي حتى يومنا. الشاهد على موت فرعون الخروج وعلى النجاة التي أرادها الله لجسده. وإنه لمن المفروض أن يعمل الإنسان على الاحتفاظ بشواهد على تاريخه، ولكن المعنى هنا هو شيء أكثر من هذا؛ إنها شهادة مادية في جسد محنط على من عَرف موسى، وعارض طلباته، وطارده في هروبه، ومات في أثناء هذه المطاردة، وأنقذ الله جثته من الهلاك التام ليصبح آية للناس كما هو مكتوب في القرآن[1].

---

(1) موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء العلم، وكذلك ترجمة عادل يوسف. وفي الترجمة الإنجليزية.
وقد فصّل بوكاي ما ورد في كتابه هذا، في كتابيه الأخيرين:
The Pharaohs – Modern Medical Invstgations (st. Martin prees (1995)
pharaoh, te hebrews mtin egypt, (ntt media scope lnc. (1994)
كما أن بوكاي قد كرَّر هذه المعلومات في محاضرتيه اللتين ألقاهما، وقد أعيدت بعض هذه المعطيات في الفيلمين التسجليين:
* موريس والفرعون.
* كتاب الآيات.

موريس بوكاي وهامان

يقول الدكتور بوكاي - وقد كان يتحدث إلى جماعة من العلماء في شيكاغو بأمريكا في عام 1978م-: إنه لم يذكر في كتابه أن اسم (هامان) مذكور في القرآن ست مرات.

وربما تتذكرون أن فرعون طلب من هامان أن يبني له صرحًا ليطلع إلى إله موسى، ويقول بوكاي: قمت بزيارة اختصاصي فرنسي في اللغة الهيروغليفية في باريس، وأخبرته أنني اطلعت على نص ورد في القرن السابع الميلادي. ولأن معرفة هذا العالم باللغة العربية جيدة، فقد كتبت أمامه كلمة (هامان) بالعربية، فقال لي: مستحيل أن تكون كلمة هامان عربية، لأن هامان اسم هيروغليفي، ومكمن الاستحالة، بحسب كلامه أن اللغة الهيروغليفية كانت بين القرنين (الثالث والتاسع عشر) للميلاد مجهولة تمامًا.

قلت له: نعم، إنه أمر مستحيل، ولكنك سترى حتمًا رأيًا آخر حين أُطلعُك على ذلك النّص العربي. وعندما سألني عن النصّ العربي، طلبتُ منه أن يخبرني أولاً عن معنى كلمة هامان في اللغة الهيروغليفية.

فأجاب: بأن الكلمة اسم عائلة في الأسر الفرعونية الحديثة، وأضاف: لو ذهبت إلى مكتبة كوليج دي فرانس College de france،

فستجد فيها المعجم الشهير للأسماء الهيروغليفية للباحث الألماني رانكة Ranke، وفي الفصل الخاص بالأسماء في الأُسَر الحديثة قد تعثر على هذا الاسم، وأضاف: إنه لا يذكر بالتحديد ما وظيفة هامان، ولكنك ستجدها حتمًا في ذلك المعجم.

يستطرد بوكاي في حديثه إلى علماء شيكاغو: وهكذا، ذهبت إلى مكتبة college de france، ووجدت تحت اسم هامان ما يلي: "هامان مدير المحاجر الفرعونية - رئيس العمال - البنَّاء بالأحجار"، لأن البناء آنذاك كان بالأحجار، وليس بالأخشاب. وهكذا، وبناء على نصيحة هذا الاختصاصي عثرت على وظيفة هامان الذي أمره الفرعون أن يبني له صرحًا.

وبعد أن دوَّنتُ معنى كلمة هامان، عدتُ إلى هذا العالم المتخصص في اللغة الهيروغليفية حاملاً معي نسخة من القرآن باللغة العربية، ولما أريتُ الرجلَ واحدة من الآيات القرآنية الست التي ذكر فيها اسم هامان، أصيب الرجل بذهول لم يستطع معه للحظات أن ينطق!!

أخبرته أنه مثلما حفظت التوراة اسم (رمسيس)، حفظ القرآن اسم (هامان)!!

كان الرجل مأخوذًا تمامًا، وبعد قليل اقترح عليّ فكرة أن نتشارك معًا في تأليف كتاب عن هذا الموضوع... غير أن المنية وافته بعد شهور[1].

(1) لم يذكر بوكاي اسم ذلك الاختصاصي الفرنسي في اللغة الهيروغليفية.

يقول بوكاي: هذه معلومة بالغة الأهمية عن فرعون موسى لصحتها من منظور البحث اللغوي واللغة الهيروغليفية. يقصد بوكاي أن البحث اللغوي يؤكد أن اللغة الهيروغليفية في القرن السابع الميلادي (حين نزول القرآن باللغة العربية) كانت قد ضاعت ونُسيت وبادت تمامًا منذ أربعة قرون تحت الاحتلال الروماني لمصر، وقيامهم بعملية تطهير لغوي وثقافي وديني.

ويقول بوكاي للعلماء في شيكاغو: أمّا فيما يتعلّق بـ (رمسيس) الوارد في التوراة، فلدى ما أخبركم به. فقد قرأتُ الاسم باليونانية في أقدم نسخ التوراة، كما قرأته في أقدم الترجمات اللاتينية والفرنسية. لقد احتفظت التوراة باسم (رمسيس) وهذا ساعدني في بحوثي. ولا ريب أن حفظ القرآن لاسم (هامان)، وحفظ التوراة لاسم (رمسيس) يساعد كثيراً في الدراسة التاريخية واللغوية.

نقد موريس بوكاي لنظرية (التطور) لتشارلز دارون

نشر موريس بوكاي سنة 1982م كتابًا باللغة الفرنسية، خصصه لنقد نظرية التطور، وعنوان الترجمة العربية للكتاب: (ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة)[1]، وهو الكتاب الثاني الذي ألفه بوكاي.

ومنذ أن نشر العالم الإنجليزي تشارلز دارون Ch. Darwin الطبعة الأولى من كتابه: " أصل الأنواع The Origin of Spices "سنة 1859م، وتضمن نظريته التي أطلق عليها نظرية التطور، التي أشارت إلى أن هذا الإنسان كان أصله قردًا، وأنه تحول عنه، أو تطور عنه إلى إنسان، لكنه بقي إنسانًا إلى يومنا هذا، ولم يتطور إلى نوع آخر. منذ ذلك الوقت، والنظرية تواجه انتقادات علمية رصينة، والغريب أن دارون نفسه قد انتقد بعض جوانب نظريته، لكن نظرية التطور وجدت لها أنصارًا ومدافعين أشداء، ليس من بين العلماء الطبيعيين فحسب، ولكن من جانب علماء العلوم الإنسانية

(1) وقد ترجم بوكاي كتابه هذا مع A.D. PANNEL إلى اللغة الإنجليزية:
WHAT IO THE ORIGIN OF MAN? THE ANSWERS OF SCIENCE AND THE HOIY SCRIPTURES, 1984

والاجتماعية SCHOLARS SCIENTISTS and كذلك[1]. وكأن هؤلاء العلماء كانوا داروئيين أكثر من دارون نفسه.

بيد أن انتقاد موريس بوكاي جاء مختلفًا عن انتقاد من سبقوه، لأنه:

1- نظر إلى كلام دارون بحسبانه مجرد (نظرية) وليس حقيقة علمية ثابتة مبرهنة، وهذه فكرة منهجية أثيرة لدى بوكاي قد أشبعها كلامًا في كتابه الأول (الكتاب المقدس والقرآن في ضوء العلم).

وهذه اللفتة المنهجية ثمنها منتقدو موريس بوكاي الغربيون، مثل: ليف ستنبرج[2] LEIF STENBERG في كتابه (THE ISLAMISATION OF SCIENCE)، وستفانو بيلياردي STEFANO BIGLIARDI في بحثين له[3].

---

(1) كنتُ منذ سنوات قلائل أتمشى في الشارع الذي يفصل بين جامعتي العلوم التطبيقية، والعلوم الإنسانية والاجتماعية، في مدينة زيورخ في سويسرا، وفوجئت بأن العلماء والباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية يعلنون عن حلقة بحثية دفاعًا عن (التطور الداروينى)، فتعجبتُ لذلك !!

(2) LEIF STENBERG, THE ISLAMIS EATION OF SCIENCE, UINIVERSITY OF LUND PRESS, 1996, PP. 217-258

(3) STEFANO BIGLIARDI, SNAKES FROM STAVES, LUND UNIV. PRESS, P. 796, THE STRANGE CASE OF DR. BUCAILLE, P. 251

1- هناك ما يقوله دارون نفسه، وهناك ما يقوله الدارونيون في زمانه، وهناك ما يقوله الدارونيون الجدد، الذين نظروا إلى فروضيات دارون بحسبانها حقائق، وتوسعوا في توظيفها وتطبيقها، والخلاصة أن ما نشره دارون في كتابه "أصل الأنواع" في منتصف القرن التاسع عشر يبدو أنه أفكار بسيطة ومحدودة إلى جانب ما ذهب إليه الدارونيون الجدد الذين خرجوا بهذه الأفكار التي ولدت في حقل العلوم الطبيعية، إلى محالات إنسانية واجتماعية، بل ولغوية أوسع، بصرف النظر عن كونها فروضًا لم تكتسب من الحجج ما يجعلها حقائق واقعية مبرهنة.

يقول بوكاي: كان الدين وحده، وكان الكتاب المقدس THE BIBLE وحده هو الذي يتحدث عن مسألة (أصل الإنسان) إلى أن جاء دارون في منتصف القرن التاسع عشر فجعل العلم الطبيعي يتحدث عن أصل الإنسان، ويعلن أنه حدث تطور (من نوع إلى نوع آخر)؛ أي إن الإنسان كان أصله (قرد)، ووقعت طفرة جعلت هذا (القرد) يتطور إلى هذا (الإنسان)، وهذا يعني أن الفكرة القديمة السائدة التي تقول بأن الله تعالى قد خلق الإنسان خلقًا مباشرًا من البدء إنسانًا، وهي الفكرة المستمدة من الدين ومن نصوصه المقدسة – في الغرب – قد واجهت، وللمرة الأولى، تحديا وتهديدًا جديًّا من العلماء الطبيعيين، وهذا قد فتح الباب واسعًا لإعادة قراءة نصوص التوراة، التي تتحدث عن الخلق عمومًا، وخلق الإنسان خصوصًا، قراءة نقدية فاحصة.

ولكن، هل كان دارون هو أول من قال بفرضية التطور؟ ينقل بوكاي أن العالم J. ROGER شدد على أن كلمة (تطور) ليست المصطلح الأصلي لدارون، ولم تظهر هذه الكلمة في كتابه (أصل الأنواع) إلا في طبعته السادسة. على كل حال كانت فكرة (التحول) داخل النوع الواحد مطروحة، ويمكن أن يشار هنا إلى (لامارك) و(كوفييه) في صدر القرن التاسع عشر على أنهما من القائلين بهذا القول، في مقابل الثبات الذي استنبطه رجال الكنيسة وآباؤها من الرواية (الكهنوتية) التوراتية[1].

ويلفت موريس بوكاي الانتباه إلى أنه في الوقت الذي كان فيه الفلاسفة الطبيعيون الإغريق في القرن السادس قبل الميلاد، مثل (أنكسيمندر وأمبيدوفل) في الشمال يتحدثون حديثًا فلسفيًّا عن التحول في الأنواع، كان الكهنة اليهود يعيدون صياغة التوراة ويضمنونها رؤية مؤسسة على ما كان سائدًا في وسطهم من معلومات وتقاليد ونظريات وخرافات.

ويؤسس موريس بوكاي على ذلك نتيجة مهمة، هي أن الوحي الأصلي لم يكن فيه، ولا يصح أن يكون فيما وضعه الكهنة في

(1) معلوم عند علماء الكتاب المقدس (BIBLE) أن للتوراة روايتين؛ أولاهما الرواية اليهودية: نسبة إلى يهوا، وهي الرواية الأقدم، والرواية الكهنوتية، أي ما كتبه الكهنة عند إعادة تدوين التوراة، وقد اعتمد الكهنة في روايتهم على الأفكار والتقاليد والتصورات والأساطير التي كانت سائدة إبان إعادة التدوين، الذي حدث قبل الميلاد بستمائة سنة تقريبًا.

التوراة من معطيات تتعلق بأمور مهمة، منها ما يتعلق ببعض جوانب مسألة الخلق.

ويتساءل بوكاي: هل كانت فكرة التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا وعقيدة؟

ولقد أجاب عن هذا التساؤل الضروري في كتابه (أصل الإنسان)، وفي لقائه مع العلماء في شيكاغو، وقال: كتب دارون رسالة إلى العالم توماس تورنتون THOMAS THORNTON ESQ، أخبره فيها أنه يؤمن بالانتخاب الطبيعي NATURAL SELECTION ليس بسبب مقدرته على أن يثبت في أي حالة مفردة بعينها أنه -أي الانتخاب الطبيعي- قد نجح في تحويل نوع إلى نوع آخر، ولكن بسبب أن الانتخاب الطبيعي يقوم بالتجميع والشرح الوافي لحزمة من الحقائق المتعلقة بعلم الأجنة التصنيفي، وعلم تركيب الخلايا والمكونات العضوية الأولية والتتابع الجيولوجي.. إلخ.

يعلق بوكاي على كلام دارون هذا قائلاً: وهكذا نرى أن دارون لم يتمكن - ولو في حالة واحدة - من اكتشاف أي مثال على حدوث التطور في ما لاحظه. وقد لاحظ دارون التغيرات في إطار نوع واحد، لكنه لم يلاحظ - بحسب كلامه- تطور أو تحول جنس أو سلالة إلى جنس آخر أو سلالة أخرى؛ وهذا هو ما يطلق عليه مصطلح: تطور.

ويعزو بوكاي نجاح الدارونيين في تحقيق هذه الشهرة الكبيرة على الرغم من افتقارها إلى البرهنة العلمية، إلى رفض الكنيسة لها

بحسبانها تحديًّا صريحًا للمسيحية وللكتاب المقدس الذي يقر الثبات في الخلق، الذي يتعارض تمامًا مع القول بالتطور. ويأخذ بوكاي على رجال الكنيسة هجومهم على دارون من ناحية، والتسليم بما جاء في الكتاب المقدس أن كُتاب الأسفار قد صاغوها من معلومات علمية كانت شائعة في زمانهم. واشتد الصراع بين المسيحية والدارونية، وقد وجد أصحاب العقائد المادية ضالتهم في الدارونية واتخذوا من دارون نموذجًا ومثالاً، ونظروا إلى فرضيته على أنها حقيقة علمية مبرهنة، وحولوها من مجرد نظرية إلى عقيدة وأيديولوجيا، وارتفع صيت دارون وفرضيته، بسبب مباشر من اصطدامها العنيف مع السلطات الدينية.

من هنا، نسج الدارونيون مقولة متناقضة مؤداها أنه لا يجتمع العلم مع الإيمان بالله، وأن العالِم لا بد أن يكون دارونيًّا تطوريًّا يؤمن بأن الانتخاب الطبيعي قد حل محل الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالخلق الإلهي المباشر، وأن يكون العلم ماديًّا حدوده هي حدود الفيزيقا، وأن يكفر بالغيبيات والماورائيات وبالميتافيزيقيا، ويركن إلى المصادفة والحتمية والأسباب المادية. وهكذا، تحولت فرضية دارون إلى نظرية علمية طبيعية وإلى عقيدة أو أيديولوجيا غير مرتكزة على العلم[1].

(1) بوكاي: ما أصل الإنسان ...، الترجمة العربية، المقدمة، ص 10، ص 37، ص 38.

وقد اقتبس موريس بوكاي، في تفنيده نظرية دارون ودحضها، كثيراً من النصوص التي أوردها أستاذ نظرية التطور في جامعة السربون (P.P. GRASSE) في كتابه (الإنسان موضع اتهام). فقد انتقد البروفيسور جراسية الدارونية والداروئيين الجدد انتقادًا شديدًا.

يؤكد البروفيسور جراسيه أن راية التطور قد أُتخذت لتبرير وتغذية الصراع بين الفلسفة المادية والعقيدة الدينية. وينقل بوكاي عن جراسيه قوله: "إن الدارونية، بمداخلها ومخارجها، هي المذهب المادي المضاد للدين". ويستطرد جراسية في إشارة ذكية إلى العلاقة بين كارل ماركس وداروِن قائلاً: "إن كارل ماركس – الأكثر نباهة – قد حصل من كتاب (أصل الأنواع) على الإيحاء المادي والملحد، حيث أبدى إعجابه الشديد به، واستفاد منه، ووجد فيه عامل انحلال لكل عقيدة دينية[1]. وهكذا كان رأي مؤسي دولة الاتحاد السوفيتي؛ وبخاصة لينين..، وإذا كانوا قد أسسوا في موسكو متحفًا للداروئيه، فإن ذلك كان من أجل الصراع ضد "المسيحية الظلامية" معتمدين على معطيات (شبهات) علمية[2].

على الرغم من تحالف العلماء الداروئيين الماديين مع الماركسيين وأتباع سيجموند فرويد لحماية نظرية التطور في مواجهة الإيمان

(1) السابق ص 41.

(2) السابق، وانظر كتاب جراسية (البيولوجيا الجزيئية والتكوين المتنقل والتطور) الذي اقتبس منه موريس بوكاي نصوصا مهمة.

بالله، فإن نظرية التطور قد دحضها علميًّا وفلسفيًّا وخلقيًّا كثير من الباحثين الغربيين، ويكفي أن يشار إلى بعض الدراسات المهمة في هذا الصدد، ومنها: كتاب (جون ن. مور) "CHROMOSOMES , MUTATIONS, AND PHELOGENY: الكروموسومات والنحور وتطور السلالات) الذي ترجم بعنوان: DARWINISM IN THE LIGHT OF SCIENTIFIC TRUTHS: أي: الداروينية في ضوء الحقائق العلمية، وكتاب إيه. ان. فيلد: THE EVOLUTION HOAX EXPOSED, TAN BOOKS , 1971 أي: كشف خديعة التطور.

أما الفيلسوف كارل بوبر فإنه يرى أن نظرية التطور ليست نظرية علمية؛ لأنه لا يمكن اختبارها، لكنها نظرية ميتافيزيقية[1]!، وقد دفعت الحماسة الشديدة لتأييد نظرية التطور، الآخرين المؤمنين بالله الخالق إلى تأسيس هيئات تبرهن على ضرورة الخلق مثل (هيئة أبحاث الخلق) في الولايات المتحدة الأمريكية، وجماعة (التصميم الذكي أو الإبداع الذكي في الخلق) وغير ذلك، في مقابل أيديولوجية المصادفة والضرورة والحتمية.

وبعد أن أشبع موريس بوكاي نظرية التطور تفنيدًا ودحضًا مستندًا إلى حقائق علوم البيولوجيا والحيوان ودراسة المتحجرات من العصور السحيقة، ذهب إلى دراسة أصل الإنسان، كما تحدثت عنه نصوص الكتب السماوية؛ وبدأ بالحديث عن أسفار الكتاب

(1) KARL POPPER, UNINDED QUEST, THE LIBRARY OF LIVING PHILOSAPHERS, VOL. I, P. 133 (1976)

المقدس؛ أي أسفار العهد القديم OT، والعهد الجديد NT.

ويذكر هنا أنه على الرغم من كثرة التفنيدات لفرضية دارون، فإنها لا تزال باقية على قيد الحياة لأن كثيراً من العلماء قد أدرجوها في مناهج التعليم وبرامجه في الولايات المتحدة وغيرها. ورأي علماء المسيحية أن الدارونية تقوض رواية سفر التكوين عن الخلق[1]. وأقول: ربما كانت نظرية التطور سببًا في انبثاق الحركة الإنجليزية الأصولية التي تصنف على أنها حركة يمينية، في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تشبث الإنجيليون - الذين يشكلون اليوم 25% من مجموع السكان في الولايات المتحدة الأمريكية - بأن الكتاب المقدس يجب أن يُفهم حرفيًّا، كما هو، وأن نظرية التطور باطلة. A MAJORITY OF THEM THINK THE BIBLE SHOULD BE READ LITERALLY AND THAT EVOLUTION IS FALSE. على حين تمثل رواية الخلق الواردة في سفر التكوين، الحقيقة العلمية والتاريخية.

كما أن نظرية التطور طرحت بقوة على علماء الكتاب المقدس أسئلة حول مَنْ كتب الأسفار الستة والستين التي يتكون منها الكتاب المقدس؟ وقد شجعت نظرية دارون العلماء على خوص غمار الدراسات النقدية المعمقة لنصوص الكتاب المقدس،

(1) AS DARWINISM EVOLUTION WAS UNDERMINING THE STORY OF GENESIS

انظر: دورية وموقع THE CONVERSATION

وتشبث الإنجيليون الأصوليون اليمينيون بما أسموه (BIBLICAL INERRANCY) أي: الصَّوابية الكاملة للكتاب المقدس وخلوه التام من أي أخطاء[1]؛ أي عصمته.

بوكاي يناقش مسألة خلق الإنسان في الكتاب المقدس

يذكر بوكاي أن علماء الكتاب المقدس يميزون بين (روايتين) للكتاب المقدس تتحدثان عن خلق الخليقة وخلق الإنسان، ويقول: إن القس (دي فو) يتحدث عن روايتين وردتا في سفر التكوين عن الخلق:

- الأولى، هي من تأليف رهبان وكهنة معبد القدس، وتعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، وتسمى: "الرواية الكهنوتية"، وهي الأطول... ويشغل خلق الإنسان فيها بضع كلمات فقط.
- الثانية، وهي "الرواية اليهودية" ويعود تاريخها إلى القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد، وهي قصيرة

---

(1) والجدير بالذكر أن مدارسهم تميزت من بقية المدارس في كونها تدرس (رواية الخلق التوراتية) وترفض تدريس نظرية التطور للتلاميذ، وقد أنشأ الإنجيليون الأصوليون سنة 2007م متحفا يجد ويحكي قصة الخلق التوراتية، وأصبح هذا المتحف معلما سياحيا مهما في الولايات المتحدة الأمريكية.

انظر في ذلك: موقع ودورية .THE CONVERSATION , Art

THE EVNGELICAL CREATION MUSEUM.

جدًا ومذكورة بعد " الرواية الكهنوتية "، ويحتل خلق الإنسان المكان الأكبر فيها.

ثم يورد بوكاي نص الروايتين بحسب ترجمة مدرسة التوراة في القدس، ويعلق عليها قائلاً: إن الروايتين تختلفان في أكثر التفاصيل عن الخلق بعامة، وعن خلق الإنسان (الرجل والمرأة) بصفة خاصة... ويستطرد في بيان الفروق الواسعة بينهما بشيء من التفصيل.

ويتوقف عند تقدير الكتاب المقدس عمر الإنسان على الأرض، فيقول: إن الكتاب المقدس يعالج الموضوع بطريقتين: إنه يعطينا تقديرًا بحسب سلالات أنساب البشر الأوائل مع آجال حياتهم بالأرقام والسنين، ثم من ناحية أخرى حديثه عن عدد الأجيال المحصورة بين آدم والمسيح[1].

ويحدد العهد القديم عمر الإنسان على الأرض منذ بدء الخليقة إلى عام 1981م بـ (5742 سنة). ويعلق موريس بوكاي على تقدير التوراة هذا بأنه "مخالف للحقيقة تمامًا"، وقد قَدَّرَ العلماء المختصون عمر الأرض بمئات ملايين السنين. أما ظهور الإنسان على الأرض، فنذكر بكل بساطة هنا أن من الثابت أنه كان يعيش، منذ ما يقارب أربعين ألف سنة، إنسان يشبهنا تمامًا، وأن ثمة أشكالاً أقل تطورًا من البشر كانت قد وجدت منذ نحو خمسة ملايين سنة تقريبًا، وفقًا لتقديرات العلماء، وكل ذلك يناقض الرواية

(1) بوكاي: ما أصل الإنسان ص 163.

الكهنوتية التوراتية، أي إن نصوص الكتاب المقدس ومعطيات العلم الحديث يسيران في اتجاهين متناقضين.

أما العهد الجديد، فإن إنجيل متَّى يورد سلسلة نسب عيسى عليه السلام، ويعدد أجداده إلى إبراهيم، فإنجيل لوقا قد أورد نسب عيسى عليه السلام إلى آدم، ويلاحظ وجود اختلاف وتضارب شديد بين هذين الإنجيلين فيما يتعلق بمسألة النسب، لأن مجموع ستة وسبعين جيلاً بين عيسى والإنسان الأول أمر غير معقول.

ويختم بوكاي بقوله: من كان يريد أن يجد في الكتاب المقدس أدنى معطيات علمية مفيدة واقعيًّا، فلن يجدها، لأن في الكتاب المقدس ثمة أخطاء - فيما يتعلق بتقدير عمر الإنسان على الأرض - لا يمكن تلافيها[1].

ثم يقدم بوكاي لمحة عن أصل الإنسان وتحولاته وتوالده بحسب نصوص القرآن، وقد جذبه - وهو الرجل الذي نشأ كاثوليكيًّا وتعلم في المدارس الكاثوليكية - أن معطيات القرآن تتطابق مع معارفنا العلمية الحديثة، وتساءل عن السبب وراء تناقض معطيات الكتاب المقدس مع معطيات العلم الحديث في حين تطابق القرآن معها.

وبالطبع، فإن كثيراً من المعارف العلمية الحديثة المتسقة مع معطيات القرآن لم تُكتشف إلا في العصر الحديث، ولم تكن معروفة في عصر نزول القرآن أو في العصور التالية له.

---

(1) السابق ص 165 - 168.

وبنفس الموضوعية قمتُ بذات الفحص لنصوص العهد القديم والأناجيل، وبالنسبة للعهد القديم لم تكن بي حاجة للذهاب أبعد من السفر الأول، أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن بحال التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم الحديث رسوخًا في عصرنا.

أما الأناجيل، فلا نكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا، دفعة واحدة، أمام مشكلة عويصة لا حل لها، أعني: شجرة نسب المسيح؛ ذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل حاسم إنجيل لوقا، هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرًا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بعمر الإنسان على هذه الأرض.

ويتحدث موريس بوكاي عن (دهشته) حين قرأ القرآن بروح العالم التجريبي والطبيعي فيقول: "إن أول ما يثير الدهشة في روح من يقرأ نص القرآن لأول مرة ثراء الموضوعات المعالجة فيه؛ فهناك: الخلق، وعلم الفلك، وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض، وعالم الحيوان، وعالم النبات، والتناسل الإنساني.

ويقول:... ولقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات، وهي تفاصيل لا يمكن أن تُدرك إلا في النص الأصلي (يعني أنَّ الترجمات لا تعطي هذا)، لقد أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات، والتي لم يكن ممكنًا لأي إنسان في عصر محمد أن يكوِّن عنها أدنى فكرة[1].

(1) المرجع السابق ص 167.

"وفي البدء لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة، لأني لم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقة تمامًا للمعارف العلمية الحديثة"[1].

(1) السابق ص 166.

موريس بوكاي ... من الدهشة إلى التساؤل

يقول الرجل: "على حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة، لا نكتشف في القرآن أي خطأ، وقد دفعني ذلك لأن أتساءل: لو كان كاتب القرآن بشرًا، كيف استطاع في القرن السابع الميلادي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة؟

فليس هناك أدنى شك في أن نص اليوم (القرآن) هو نفسه النص الأصلي الأول، فما التعليل الذي يمكن أن نعطيه لتلك الملاحظة؟".

ويجيب بوكاي عن هذا السؤال: في رأيي، ليس هناك أي تعليل، إذ ليس هناك سبب خاص يدعو للاعتقاد بأن أحد سكان شبه الجزيرة العربية – في العصر الذي كانت تخضع فيه فرنسا للملك داجوبير DAGOBERT - استطاع أن يملك ثقافة علمية تسبق بما يزيد على العشره قرون، ثقافتنا العلمية المعاصرة، فيما يتعلق بموضوعات طبيعية وكونية[1].

ويستطرد قائلاً: من الثابت أن في فترة تنزيل القرآن، أي تلك الفترة التي تمتد ما يزيد على عشرين عامًا تقريبًا، قبل وبعد عام الهجرة (622م)، كانت المعارف العلمية في مرحلة ركود منذ عدة

(1) السابق ص 167.

قرون، كما أن عصر الحضارة الإسلامية النشطة قد ازدهر لاحقًا بعد تمام تنزيل القرآن[1].

ويأخذنا بوكاي إلى مسألة أخرى، هي أخطاء تفاسير القرآن التقليدية التراثية عند تناولها الآيات التي بها إشارات تتعلق بموضوعات طبيعية أو كونية، وسبب وقوع هذه الأخطاء - في رأيه - أن هذه المعطيات لم يتم تحليلها وفهمها وإثباتها إلا في العصر الحديث. ويقول بوكاي: "من هنا ندرك أن مفسري القرآن (بمن في ذلك مفسرو عصر الحضارة الإسلامية العظيم) قد أخطأوا حتمًا طوال قرون، في تفسير بعض الآيات التي لم يكن باستطاعتهم أن يفطنوا إلى معناها الدقيق. إن ترجمة هذه الآيات وتفسيرها بشكل صحيح لم يكن ممكنًا إلا بعد ذلك العصر بزمان طويل، أي في عصر قريب منا.

كما أن المعارف اللغوية المتبحرة لا تكفي وحدها لفهم هذه الآيات القرآنية، بل يجب - إضافة إليها - امتلاك معارف علمية شديدة التنوع"[2].

ويتحدث عن تجربته الذاتية فيقول: لقد وجدت أنا أيضًا، في بعض الأحيان، وفي بعض كتب التفسير، تفسيرات لمعطيات علمية لا تبدو سديدة، وإنني أقدم لهذه الآيات تفسيراً شخصيًّا بروح متحررة، وبنيَّة خالصة[3].

---

(1) السابق، ص 168.

(2) السابق ص 168.

(3) السابق ص 169.

ويفطن بوكاي إلى ملاحظة مهمة فيقول: إن اليهود والمسيحيين والملحدين في البلاد الغربية يجمعون على الزعم بأن محمدًا قد كتب أو استكتب القرآن محاكيًا التوراة والإنجيل. ويرى بوكاي أن هذا حكم على القرآن دون محاكمة؛ لأن كلا من التوراة والإنجيل والقرآن تعطي عن نفس الحديث روايات مختلفة، كما أن الأخطاء التي تضمنتها التوراة فيما يتعلق بالمعطيات العلمية قد تنزه عنها القرآن تمامًا. وهذه الملاحظة الأخيرة تدحض فرص هؤلاء الذين يرون في محمد مؤلفًا للقرآن[1].

وللدكتور بوكاي رأي جدير بالاعتبار يتعلق بتفرقته الحاسمة بين القرآن وبين جانب من الحديث المنسوب إلى النبي؛ يقول: "وهكذا يتقرر لنا من جديد أن حقائق القرآن العلمية كما شرحناها في مكانها تدل جميعها على أن نصوص القرآن نصوص لا دخل للبشر فيها بأي وجه، وأنها وحي لا شك فيه، وذلك خلافًا لنصوص الأحاديث الظنية من أخبار الآحاد التي لا يمكن أن ترتفع في الثبوت إلى درجة الوحي المنزل المتواتر المكتوب، وذلك لما قد يدخل عليها من أخطاء الرواة.

وفضلاً عن ذلك كله، فقد يكون الحديث صحيحًا لا شك فيه، ولكنه ما دام في أمر من أمور الدنيا، ومما لا علاقة له بالدين، فالفرق عندئذ بين النبي وغيره من الناس، لما ورد في صحيح مسلم عنه أنه وجَّه بذلك قائلاً: "إذا أمرتُكم بشيء من دينكم فخذوا به،

(1) السابق ص 172 - 173.

وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر" وروي: "فأنتم أعلم بأمر دنياكم".

ويرى بوكاي أن هذا التوجيه النبوي يدعم ملاحظته، وأن فيه إقرارًا نبويًّا بالفرق بين مواضيع القرآن العلمية التي لا شك فيها، والتي أيدها العلم الحديث، بين بعض مواضيع الحديث التي لا وحي فيها؛ بمعنى أنها تتعلق بأمر من أمور دنيا الناس مما قد لا يتفق أحيانًا مع حقائق العلم الحديث الثابتة، ويرى بوكاي: أن هذا لا يضر البتة بمكانه الرسول النبوية أو البشرية، ولكنه مفيد لأنه يعطينا فكرة عن المفاهيم والآراء السائدة في ذلك العصر..، من أبرز هذه الأحاديث تلك التي تتعلق بالطب والتطبيب، مع العلم بأن القرآن لا يعطي أية إرشادات فنية عن مهنة التطبيب..، ويؤكد بوكاي على أن أكثر الأحاديث التي تشير إلى مسائل طبية تدخل في باب: أنتم أعلم بأمور دنياكم...

ويؤكد بوكاي أن القرآن؛ كما أنه لم يأخذ ولم يستلهم التوراة والإنجيل، فيما يتعلق بإشاراته الكونية والطبيعية، فإنه لم يستمد كذلك من الآراء والأفكار والنظريات العلمية التي كانت سائدة ومسيطرة في عصر التنزيل، وهي معلومة لدى المتخصصين في تاريخ العلوم، ولكنه تفرد، عوضًا عن ذلك، بإيراد معطيات علمية خاصة به، بقيت أسرارًا مكنونة إلى العصر الحديث.

بوكاي يتحدث عن نفسه

قص موريس بوكاي قصته هذه بأسلوبه الشائق الماتع على العلماء في شيكاغو سنة 1987م، فقال: ربما يتعين علي أن أحدثكم أولاً حول الكيفية التي واتتني بها فكرة القيام بمقارنة بين الكتب المقدسة وبين العلم...، أعلن في سنة 1935م - حين كان عمري خمس عشرة سنة - وكنت لا أزال تلميذًا في مدرسة مسيحية كاثوليكية، وهو الموقع الذي أتاح لي التعرف إلى الكتاب المقدس بعهديه؛ التوراة والإنجيل، بدرجة جيدة، غير أنه - وعلى غير توقع مني - أصابتني صدمة شديدة حينها، فقد عرفت - ولأول مرة - حقائق علمية وجدتها تتناقض مع ما ورد في الكتاب المقدس!

ويستطرد بوكاي قائلاً: لقد أعلن سنة 1935م، عالم فرنسي (وكان كاهنًا) عن اكتشاف رسوم بشرية على جدران كهف في إسبانيا، يرجع تاريخها إلى خمسة عشر ألف عام. وكنا ندرس في كتاب الدين أن أول ظهور للإنسان على سطح الأرض يرجع تاريخه إلى أربعين قرنًا (أي أربعة آلاف سنة فقط) قبل ميلاد المسيح، وهنا توجهت إلى الأب معلم الدين بسؤال: يا أبانا، أخبرني أيها أصدق: كتاب الدين، أم هذا الاكتشاف؟ أجابني الأب: لا.. لا.. لا تخلط بين أمرين.. هناك الدين، وهناك العلم، وإذا كان ثمة أمر يقول به العلم غير متوافق مع الدين، فما يقوله الدين هو الحقيقة!!

قلت لنفسي: هذا مستحيل! فتقدير عمر تلك الرسوم قد تم باستخدام أدوات وأساليب غاية في الدقة، ولذا، فهي حقائق مبرهن عليها، وبالتالي فإن أول ظهور للإنسان لا يمكن تقديره بحسب ما ورد في الكتب الدينية.. هذا مستحيل!.. هناك خطأ ما.

نرد على ذلك أن إنجيل لوقا، مثلاً، ينص على أن هناك سبعة وستين جيلاً من البشر منذ آدم إلى المسيح.. وهذا مستحيل !، فقد تركت تلك الحادثة في نفسي أثرًا عميقًا، ولقد أردت هنا أن أشارككم ذلك الشعور.

ويقول بوكاي للعلماء في شيكاغو: في بداية دراستي للطب، كان علم الأحياء (البيولوجيا) قد أحرز تقدمًا كبيرًا...، واستطعت آنئذ أن أكوِّن أفكارًا علمية من خلال دراستي جعلتني أقطع بأن تقدير الكتاب المقدس لعمر الإنسان على الأرض غير صحيح، لكن، لم يكن الدين - في رأيي - مناقضًا للعلم في أي وقت من الأوقات، وكان العلم هو الذي قادني إلى الإيمان بالله والتفكر فيه منذ كنت شابًّا، وأذكر أنني قلت لنفسي حينها أنه من غير الممكن أن يكون هناك إله لليهود، وإله للمسيحيين، وإله آخر للمسلمين، لقد جاءني هذا الشعور بشكل طبيعي، ولعله كان السبب الذي جعلني - قبل أن تُتاح لي فرصة معرفة القرآن معرفة دقيقة - أحب الله الواحد الأحد، ولذلك، فقد كانت فكرة الإيمان بالله الواحد الأحد مسألة طبيعية تمامًا بالنسبة لي حتى قبل أن أتعرف على القرآن".

وكان مما تحدث به موريس بوكاي أمام علماء شيكاغو عن ما أسماه (المرحلة الثانية) من رحلته العقلية، فقال: بدأت المرحلة الثانية في رحلتي حينما كنت أستقبل مرضى مسلمين في باريس، وكان عمري آنذاك يناهز الأربعين عامًا. وأذكر أنه أتيح لي أن أتحدث مع كثير منهم حول الدين الذي يعتنقونه، وكيف أنه مختلف عن ديانتي. وكما ترون فقد كنت أعتقد أن القرآن كلام بشر، ولكن كثيراً من مرضاي أخبروني أنني على خطأ في هذا الاعتقاد لأن القرآن كلام الله حقًّا.

قلت لنفسي: إنني بالتأكيد على صواب، وإنهم بالتأكيد على خطأ مبين... ومع مضي الزمن، وتراكم المعلومات والمعارف، وتكرار النقاش، بدأت أشعر بأني بحاجة لفهم القرآن. وقد أخبرني بعض مرضاي بأنني لو رغبت حقًّا في دراسة القرآن وما يتصل به، فالأفضل لو تمكنت من تعلم اللغة العربية أولاً.. فحينها ستكون قادرًا على قراءة القرآن بلغته الأصلية؛ اللغة العربية. وحينها ستدرك أن أفكارك حول القرآن كانت غير صحيحة تمامًا.

وهكذا، قررت دراسة اللغة العربية في باريس، وكان عمري وقتها قد ناهز الخمسين عامًا. كان تعلُّم اللغة العربية في البداية أمرًا بالغ الصعوبة، حينما بدأت دراستي المنتظمة في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في جامعة باريس، ولكنني فوجئت أن الطلاب في العام الثالث كانوا قادرين على قراءة مقاطع كاملة من القرآن، وهي المقاطع التي لم تكن شديدة الصعوبة، كمقاطع معينة من سورة البقرة مثلاً.

كنا نتعلم العربية ونقرأ القرآن في ذات الوقت.. وكنا نقرأ مثلاً كتاب (الأيام) لطه حسين لإجراء مقارنة بين لغة القرآن، ولغة الأدب العربي الحديث. كان هذا تمرينًا رائعًا لنا نحن الطلاب.. فقد اكتشفنا بأنفسنا أن لغة القرآن تعلو على أي مقارنة!

حين أنهيت دراستي صرت قادرًا - بفضل الله - على قراءة القرآن بلغته الأصلية.. لقد قرأت القرآن دون أن تكون لدي فكرة مسبقة على الإطلاق بأنه قد يكون كلام الله، ولكنني اكتشفت مصدر القرآن بنفسي بعد ذلك.

واسترعى انتباهي - خلال دراستي للقرآن - وجود كم هائل من الآيات المحملة بإشارات علمية، ثم أعددت قائمة بهذه الآيات، وتجمع لي منها قرابة 200 آية، قمت بتبويبها وفقًا للعلوم التي تدل عليها الإشارات العلمية في تلك الآيات.

لقد تأثرت كثيراً في أثناء قيامي بتلك العملية، وقلت لنفسي حينها: إن ذلك مستحيل!، مستحيل أن تكون هذه الآيات من كلام البشر!، فبالنظر إلى تاريخ العلوم حتى ذلك الوقت (وقت نزول القرآن) كان من المستحيل تصُّور أن يكون بشر حائزًا معرفة بكل تلك العلوم التي تشير إليها الآيات المسجلة على قائمتي.

وحيث إن القرآن قد أُنزل منذ 1400 سنة تقريبًا، فكيف يمكن لإنسان أن يخبر عن علوم بتفاصيل لم نكتشفها إلا في القرن العشرين. كان أول رد فعل عندي، هو رد فعل شخص اكتشف أنه كان مخطئًا في معرفته بالقرآن، وربما كانت الترجمات التي قرأت

القرآن بها من قبل مسؤولة عن تصوراتي غير الصحيحة عن القرآن. وأذكر أنني بعد تعلم العربية كنت أستشير ترجمتي مارمادوك بكثال Marmaduke Piktual ويوسف علي لمعاني القرآن للاسترشاد بهما.

وقد لاقى عملي هذا استحسانًا من أساتذتي، ثم استشرت عددًا من الباحثين، وذهبت آخر الأمر إلى عالم الإسلاميات (المستشرق) الفرنسي الشهير هنري لاروس Henry Larouse، وهو إخصائي معروف بتعمقه في دراسة ابن تيمية، الذي نصحني بضرورة تأليف كتاب حول: (القرآن والعلم)، فرفضت على الفور، وقلت له: هل يؤلف طبيب جراح معروف كتابًا عن الاسلام والعلم؟!

لكن بوكاي بعد تردد وافق على فكرة هنري لاروس وألف كتابه عن التوراة والقرآن في ضوء العلم الحديث، ونشره سنة 1974م.

قبسات من أقوال موريس بوكاي

أ- تطلُّعُه إلى علاقات منفتحة بين الإسلام والمسيحية:

احتفى موريس بوكاي بالوثيقة التي أصدرها الفاتيكان بعد انعقاد مجمعه الثاني، وجاءت الوثيقة التصالحية تحت عنوان: (توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين)، ووصفها "بأنها تشهد بعمق التحول في المواقف الرسمية [المسيحية]؛ فقد دعت وثيقة الفاتيكان إلى استبعاد الصورة التي يصور المسيحيون المسلمين عليها؛ تلك الصورة البالية التي ورثناها من الماضي، والتي شُوِّهت بالافتراءات والأحكام المسبقة،.. واعتنت الوثيقة بالإعتراف بمظالم الماضي التي ارتكبها الغرب ذو التربية المسيحية في حق المسلمين، كما انتقدت الوثيقة المفاهيم الغربية المزعومة عن الجبرية أو الحتمية المسيطرة على الإسلام، وعن الحرفية (البرَّانية) والتعصب الذي يفرضه الإسلام. وتؤكد الوثيقة على وحدة الإيمان بالله عند الجماعتين ؛ الإسلام والمسيحية... إلخ".

ويقول بوكاي: لا شك أن تاريخ العلاقات بين الدينين سيسجل روح الانفتاح نحو الإسلام...، ومع ذلك فقد رأيت أن من الأهمية التذكير بمشاعر رئيس الكنيسة الكاثوليكية – البابا يوحنا - المنفتحة تجاه المسلمين؛ لأن كثيراً من المسيحيين الذين تربوا في ظل روح عدائية صريحة ضد الإسلام والمسلمين- الأمر الذي أدانته وثيقة الفاتيكان – هم، من حيث المبدأ، أعداء لكل تأمل صحيح في الإسلام، ولذلك

تجدهم سادرين في جهالتهم بحقيقة الإسلام وجوهره، وتجدهم بالتالي يستمسكون بمفاهيم مغلوطة وزائفة عن الإسلام[1].

ويدعو موريس بوكاي أتباع الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام إلى التعاون والاصطفاف معًا في مواجهة طوفان المادية والإلحاد، فيقول: "إن المواجهة بين حقائق العلم في القرن العشرين وبين بعض الموضوعات التي تعالجها الكتب المقدسة تهم الأديان الثلاثة معًا! وليس دينًا واحدًا على حدة، هذا، ونظرًا لما يتهدد الأديان الثلاثة من طغيان المادية والإلحاد في هذه الأيام، أفلا تكون هذه الأديان جبهة واحدة في مواجهة هذا التهديد؟ بل أليس من الواجب التقارب أمام هذا التحدي الطاغي، وتأليف جبهة واحدة متماسكة؟".

ب- حديثه عن أسفار العهدين والقرآن، في ضوء علم نقد النصوص:

يقول بوكاي: "... إن معالجة الكتب المقدسة من خلال علم الدراسة النقدية للنصوص أمرٌ قريب العهد في بلادنا.

فيما يخص العهدين القديم والجديد، ظل الناس في الغرب يقبلونهما على ما هما عليه طوال قرون عديدة، ولم يكن يسمح إلا بالقراءات المدحية التمجيدية لهما، وكان مجرد التفكير أو التعبير عن أي روح نقدية جريمة لا تغتفر.

وكان القساوسة هم الصفوة التي تستطيع بغير عناء أن تكون لديها

(1) موريس بوكاي: القرآن والتوراة والإنجيل: دراسة في ضوء العلم الحديث، ترجمة: عادل يوسف، المقدمة، نشر المكتبة الأهلية، عمان، 2018م.

معرفة إجمالية عن التوراة والإنجيل، أما عامة الناس (العلمانيون) فلم تكن تتلقى إلا نصوصًا مختارة خلال الطقوس الدينية أو عبر المواعظ.

ويقول بوكاي: إننا (لنأسف) حقًا لذلك الموقف الذي يهدف إلى تبرير الاحتفاظ، في نصوص التوراة والإنجيل، ببعض المقاطع الباطلة والمناقضة لكل منطق. إن ذلك موقف يسيء كثيراً إلى الإيمان بالله لدى بعض العقول المثقفة الواعية، ومع ذلك، فقد أثبتت التجربة أنه إذا كان بعض العلماء قادرًا على كشف مواطن الضعف والاختلاف، فإن غالبية المسيحيين لم تدرك بعد وجود هذا الضعف (في نصوص التوراة والأناجيل)، وظلت في جهل تام بأمر ذلك التناقض مع المعارف العلمية المشهورة التي تعد من المعارف الأساسية جدًّا.

ويتحدث بوكاي عن القرآن في ضوء الدراسة النقدية للنصوص، فيقول: "وهناك فرقٌ جوهري بين الإسلام والمسيحية فيما يتعلق بالكتب المقدسة، ونعني بذلك فقدان نصوص الوحي الأصلي لدى المسيحية، في حين أن الإسلام لديه القرآن الذي هو وحي منزَّل وثابت معًا.

فالقرآن هو الوحي الذي أُنزل على محمد بواسطة جبريل، وقد دُوِّن فور نزوله، ويحفظه المؤمنون عن ظهر قلب، ويتلونه في صلاتهم وفي شهر رمضان.

بيد أن الأناجيل تعتمد على شهادات بشرية متعددة وغير مباشرة، وإننا لا نملك أي شهادة لشاهد عيان لحياة المسيح، وهذا خلافًا لما يتصوره أكثر المسيحيين"[1].

(1) المصدر السابق.

ويرى بوكاي أن أحاديث محمد تختلف من حيث زمان تدوينها عن القرآن، وأنها تشبه الأناجيل من حيث إنها كُتِبَتْ ودُوِّنَت بعد عشرات السنين من موت محمد.

ج- ويحدثنا موريس بوكاي عن ملاحظاته أو نظريته التي تتعلق بالقرآن ومحمد:

فيقول: "على حين نجد في التوراة أخطاء علمية جسيمة، لا نكتشف في القرآن أي خطأ علمي، وقد دفعني ذلك لأن أتساءل: لو كان كاتب القرآن بشرًا، كيف استطاع في القرن السابع الميلادي أن يؤلف ما اتضح أنه يتفق مع المعارف العلمية الحديثة؟!

ما هو التعليل الإنساني الذي يمكن أن تُفسَّرَ به هذه الملاحظة؟!

يجيب بوكاي: في رأيي ليس هناك أي تعليل، إذ ليس هناك سبب خاص يدعو للاعتقاد بأن أحد سكان شبه جزيرة العرب استطاع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية فيما يخص موضوعات تتعلق بالظاهرات الطبيعية!! وتتعارض تمامًا مع الثقافة العلمية التي كانت سائدة في عصر تَنَزُّل القرآن!!".

وثمة ملاحظة أخرى ذات مغزى عميق يطرحها موريس بوكاي، فيقول: إن اليهود والمسيحيين والملحدين في البلاد الغربية يجمعون على الزعم -دونِ أدنى دليل- بأن محمدًا كتب أو استكتب القرآن محاكيًا التوراة...، ولم يفعل أكثر من نقل أو نسخ التوراة والإنجيل!!

يقول بوكاي: بفضل الدراسة الموضوعية الواعية لنص القرآن بلغته العربية، أدركت أن القرآن لا يحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث.

ويقول: وبنفس الموضوعية قمت بفحص العهد القديم والأناجيل. وبالنسبة للعهد القديم لم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من السِّفر الأول (سِفر التكوين أو الخلق)، فقد وجدتُ مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر حقائق العلم رسوخًا في عصرنا.

أما الأناجيل فلا نكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أن إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا، وأن هذا الأخير يقدم معطيات تتعلق بِقِدَمِ الإنسان على الأرض لا تتفق مع المعارف الحديثة الثابتة في هذا الصدد.

فإذا كانت معطيات القرآن وإشاراته العلمية بريئة تمامًا من الأَخْلال العلمية والتاريخية التي انطوى عليها كل من الأناجيل والتوراة، فكيف يزعم أن القرآن مستنسخ أو مستمد من التوراة والإنجيل؟!

د- رأي بوكاي أن بعض الأحاديث النبوية تعارض حقائق العلم الحديث:

يقول بوكاي: "وهكذا يتقرر لدينا من جديد أن حقائق القرآن العلمية – كما شرحناها – تدل جميعها على أن نصوص القرآن لا دخل ليد البشر فيها، وأنها وحيٌ لا شك فيه، وذلك خلافًا لنصوص (الأحاديث الظنية من أخبار الآحاد التي لا يمكن أن ترتفع في

الثبوت إلى درجة الوحي المنزل المتواتر المدوَّن؛ وذلك لما قد يدخُل عليها من أخطاء الرواة).

وفوق ذلك، فإنه قد يكون الحديث صحيحًا لا شك فيه، ولكنه يتعلّق بأمر من أمور الدنيا، مما لا علاقة للدين به، فلا فرق عندئذ بين النبي وبين غيره من الناس، لما ورد في صحيح مسلم عن النبي: «إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر»، وفي رواية: «إذا أتيتكم بشيء من أمر دينكم فاعملوا به، وإذا أتيتكم بشيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم بأمر دنياكم».

ويرى بوكاي أن عددًا من الأحاديث التي تتعلق بالطب والعلاج تقع في هذا الباب؛ لأنها من أمور الدنيا التي يقوم العلم بها عن طريق الخبرة المؤسسة على الملاحظة والتجريب، وهي من مسؤوليات العقل الأساسية، وليست في حاجة إلى وحي سماوي.

ولبوكاي ملمح ذكي يرى فيه أن هذا النوع من الأحاديث (أحاديث الطب والعلاج) يتعلق بأمر الدنيا وليس بأمر الدين، وأن الملاحظة والتجربة العملية تكفي لتحصيل المعرفة به، ولا يستلزم الأمر نزول وحي يؤسس لهم كيف يتطببون، هذه الأحاديث تبين لنا جانبًا من الثقافة الطبية التي كانت سائدة في عصر تَنَزُّل القرآن، وهي- كما أشرنا- ليس مما يتفق مع معطيات العلم الحديث وحقائقه الثابتة المبرهنة.

هـ - انتقادات موريس بوكاي لنظرية (التطور) لإرنست دارون:

ينقد بوكاي نظرية دارون نقدًا علميًا مستندًا فيه إلى المعطيات البيلوجية والعلمية التطبيقية، كما ينتقد بشدة خلط دارون نفسه الفلسفة بالعلم، ثم تحويل النظرية الدارونية إلى أيدولوجيا وتوطينها في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية لأغراض غير علمية، وينتقد أخيراً الدارونية في ضوء معطيات أسفار التوراة والقرآن.

يقول بوكاي: "لم يُخف دارون نفسه ما كان لنظرية مالتوس (الاقتصادية/ الاجتماعية) من تأثير على تصوره لفكرة الاصطفاء الطبيعي"، ويقتبس استشهاداً على ذلك ما نقله أستاذ التطورية في جامعة السوربون ب. ب. جراسيه في كتابه (الإنسان موضع اتهام)، لقول دارون نفسه: سندرس في الفصل التالي: الصراع على الحياة بيـــن الكائنـات المنتظمة في العالم أجمع كما يتحصل من قدرتهم -بحسب الرياضيات- على التكاثر؛ وذلك بتطبيق نظرية مالتوس Malthus في عالم الحيوان وعالم النبات كافة.

ونختم هذه الطائفة من أقوال موريس بوكاي بإيراد نص يمثل محصلة لمشروعه العلمي الفكري، وهو نص مقتبس من محاضرته المهمة التي ألقاها في أكاديمية الطب الفرنسية في باريس سنة 1976م تحت عنوان غريب على العلماء الطبيعيين بعامة، وعلى علماء الطب والحياة بخاصة: "معطيات من علمي الفسيولوجيا والأجنة في القرآن".

قال بوكاي: "إن [في القرآن] تصورًا لخلق العالم، لكنه مختلف عن ذلك الذي ورد في الكتاب المقدس، إذ يتطابق كليًا مع الأفكار الحديثة عن نشأة الكون، والتأملات في الأجرام السماوية وحركاتها وتطورتها بتناغم تام مع المعلومات الحديثة المعاصرة، والإعلان عن استكشاف الفضاء، والملاحظات عن دورة المياه في الطبيعة، والنتوءات الأرضية، التي سيبرهن عليها جميعها بعد عدة قرون، هذه الاستنتاجات محيِّرة لمن يتأملها بموضوعية.... ، غير أن السؤال الذي يطرح يظل دائمًا هو نفسه: ألسنا أمام وقائع تضع نزوعنا الطبيعي إلى تفسير كل شيء باعتبارات مادية قيدَ اختبار صعب؟! كما أن وجود هذه النصوص العلمية في القرآن يبدو وكأنه تحدٍ للتأويل البشري!"[1].

(1) بوكاي: ما أصل الإنسان، ترجمة: فوزي شعبان، مواضع متفرقة، المكتبة العلمية، بيروت، دون تاريخ.

موريس بوكاي بين دارسيه ومنتقديه... في الغرب والشرق

لقد أنجز بعض الباحثين الغربيين دراسات أكاديمية تتناول المنجز العلمي والفكري للدكتور موريس بوكاي بالتحليل والتقييم، بل إن بعضهم خصص شطرًا مهمًّا من نتاجه العلمي لدراسة بوكاي، مثل الباحث Stefano Bigliardi الذي نشر خمس أوراق بحثية في عدد من الدوريات[1] عن نظريات بوكاي وطروحاته، ومثل البروفيسور Leif Stenberg في رسالته[2] التي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة Lund ونُشرت سنة 1996م. ومن التحقيقات الصحفية المهمة عن فكر بوكاي ما نشره Daniel Golden في صحيفة: وول ستريت جورنال في 2002/1/23م بعنوان: weste scholars play key role in touting science of the quran.

وقد يتفهم القارئ أن مؤسسة الفاتيكان قد سمحت لبعض وسائلها الإعلامية[3] بتوجيه انتقادات شديدة لبعض أطروحات

---

(1) نشر بعضها في دورية zygon، وبعضها في مجلة العالم الإسلامي.

(2) وعنوانها: The Islamisation of Science; four Muslim Positions Developing an Islamic Modernity.

(3) انظر العدد 69 من مجلة المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية، لسنة 1985م.

موريس بوكاي، لكن ما قد يدهشك هو أن تثير كتابات بوكاي بعض الكتاب الكاثوليك لينشر كتابًا بعنوان:

"The Quran and the Bible in the Light of History and Science ''

أي: القرآن والكتاب المقدس في ضوء التاريخ والعلم[1].

ومما يشار إليه هنا: الانتقاد الظالم والقاسي الذي وجهه الباحث الباكستاني برويز هودبهوي إلى موريس بوكاي في نظريته التي أثبت فيها أن العلم الحديث لا يتناقض البتة مع إشارات القرآن التي تتعلق بالطبيعة والكون، وحاول في كتابه[2] الذي نشره في لندن سنة 1991م أن يُخطِّئ بوكاي ويُسفِّه آراءه.

كما أن الباحث الفيزيائي التركي Tanir Edis، في كتاب له نشره سنة 2007 في نيويورك بعنوان "استحالة التوافق بين العلم والدين"[3]، انتقد موقف بوكاي المؤيد لمبدأ "الخلق" في مقابل "تطورية" دارون.

يقول Stefano Bigliardi: سوف أركز في ورقتي هذه على بيان مدى رمزية موريس بوكاي وإسهامه في الخطاب الحاصل عن (الإسلام والعلم).

---

(1) كتبه W. Campbell ونشره 1992م.

(2) وعنوان كتابه: Islam and Science , Religious Orthodoxy and the Battle of Rationality.

(3) An Illusion of Harmony; Science and Religion in Islam .

ويتغيا هذا البحث [The Strange Case of Dr. Bucaille: Notes for a Re- examination وقد نشر في مجلة MusLim World، سنة 282م] غاية مزدوجة؛ فهو يركز - قبل كل شيء - على تزويد القارئ بخريطة موجزة بأهم أفكار هذا المفكر الفرنسي، مع بيان مركزيتها والعلاقات الجامعة لها.

ويرى S. BigLiardi أن أعمال بوكاي تستحق الاهتمام لسببين مهمين؛ يتعلق أولهما بتأثيرها المشهود في المجتمعات الإسلامية، ويختص ثانيهما بالخصائص الرصينة لخطابه العلمي وتذكيرها أن إسهام بوكاي العلمي يشكل نقطة بداية جيدة لإثارة نقاش علمي بين العلماء المنتمين إلى تخصصات مختلفة، وإلى خلفيات ثقافية متنوعة، ولذلك فإن القسم الأول سنكرسه للبحث في حياة بوكاي وأعماله العلمية، والقسم الثاني لدراسة منهجيته وأفكاره فيما يتعلق بالعلم الطبيعي، أما القسم الثالث فإنه مخصص لبحث معالجة بوكاي لأسفار العهد القديم ونص القرآن، في حين تناول القسم الرابع تعليقات بوكاي النقدية لنظرية التطور Evolution، وقد خصصنا القسم الخامس للبحث في الأسباب الحقيقية وراء صمت العلماء عن تناول المنجز العلمي لبوكاي، على الرغم من أهميته وانتشاره!

ويتحدث S. BigLiardi قائلاً: في الوقت الذي كان فيه البروفيسور بوكاي يشغل منصبًا طبيًّا رفيعًا في جامعة السوربون في باريس انتظم في صفوف الطلاب الجامعيين ليتعلم اللغة العربية لمدة ثلاث سنوات بداية من عام 1969م.

ويبين S. BigLiardi أن رئيس مصر السادات هو الذي قدَّم بوكاي للملك فيصل ليصبح طبيبه الخاص. ويشير إلى نقطتين مهمتين تتعلقان بموريس بوكاي؛ إحداهما أن شغف بوكاي وولوعه بالمصريات Egyptology كان وراء سعيه الحثيث لإجراء فحوصات طبية على مومياوات فراعنة مصر. والأخرى، هي أن تَدَبُّر بوكاي للقرآن (بلغته الأصلية) وكذلك فحوصاته الطبية التي أجراها على مومياوات الفراعين قد جعلتاه يقتنع أن مصدر القرآن هو الوحي الإلهي، وأن هذا اليقين قد أصبح النقطة المركزية في نظرياته وأطروحاته التي راكمها ودافع عنها في كتبه المنشورة وفي المحاضرات والأحاديث التي ألقاها في العديد من دول العالم. وبقى بوكاي حريصًا على تنمية وتطوير أفكاره في هذا الصدد إلى أن توفي في باريس في 17 فبراير 1998م.

ولقــد منحــت الأكاديمية الفرنسية سنة 1988م – فيما يذكر S. BigLiardi – جائزتها في تخصص التاريخ للجراح موريس بوكاي تقديرًا لجهوده في علم المصريات....، لقد سافر بوكاي كثيراً وألقى محاضرات عديدة للمسلمين والمسيحيين، كما أن مستمعيه لم يكونوا من العوام، ولكنهم كانوا من المتخصصين والخبراء في حقول علمية متعددة، ومذاهب مختلفة أيضًا.

وكان البروفيسور Leif strenberg في رسالته للدكتوراه التي تقدم بها لجامعة Lund في السويد ونشرتها له الجامعة نفسها سنة 1996م، قد خصص قسمًا من رسالته لدراسة أطروحات بوكاي ونظرياته.

يقول Leif Strenberg: "لقد اعترف بالمكانة العلمية الرفيعة لموريس بوكاي حتى منتقدوه، ومنهم Pervez Hoodbhoy، ويقول L. S.: يذكر بوكاي أنه عندما قرأ القرآن باللغة العربية لأول مرة أخذته دهشة شديدة خصوصًا عندما قرأ تلك الآيات التي تتحدث عن الإنسان. وفي رأي بوكاي أن ما ورد بالقرآن لا يمكن بحال أن يكون مُعطى بشريًّا؛ لأن الناس في عصر محمد لم يكن بوسعهم الإتيان بمثله، ولذلك يقرر بوكاي أن من المبرَّر والمشروع تمامًا أن يعتبر القرآن وحيًا إلهيًّا". (p.220).

ويذكر L.S أن "بوكاي يؤكد دومًا أنه يعتمد على الحقائق العلمية فحسب، ويلتزم بالموضوعية التامة، ولعل ذلك بسبب دراسته للطب". ويتنبه .L.S إلى جانب مهم في شخصية بوكاي العلمية، هو "أنه سلك طريقًا جديدًا يختلف تمامًا عن الطريق الذي اعتاد أن يسلكه المفكرون الفرنسيون الذين يعتنقون الإسلام، وهو التزامهم بالتصوف والحياة الروحية في الإسلام".

ويشير .L.S إلى الشخصيات العلمية التي أثرت في موريس بوكاي، فيقـول: "يمكننا أن نشير إلى جان جيتون Jean Guitton، وكارادیفو Carra de Vaux، وبيريه بول جراسييه .Grasse P.P". (P.223).

يذكر .L.S "أن بوكاي يرى أن حقائق التاريخ الثابتة يمكن أن تكون وسيلة لفهم مدى موثوقية الوحي". (p.226).

ولقد كان نقد بوكاي للمفكرين أو الكتب، في جملته، عامًّا، ولم يوجه نقدًا لمفكر بعينه أو لكتاب بعينه إلاّ نادرًا. (p.262).

"وكان بوكاي يرى أن العلم الحق True science والدين الحق True religion كلاهما يمكن أن يُعتَدَّ به كمصدر للبحث عن فهم أفضل للطبيعة". (p. 262).

أما في الجانب الإسلامي والعربي، فإن كثيراً من العلماء والمفكرين قد تحدثوا عن مشروع موريس بوكاي الفكري، وكانوا- على الأغلب- مؤيدين موافقين. وممن بحث في فكر بوكاي: السيد وحيد الدين خان، ونضال قسُّوم، وزغلول النجار، وعبدالمجيد الزنداني، ومصطفى محمود، وأحمد عبدالوهاب، وغيرهم.

وبعد ... فقد بعثت تجربة موريس بوكاي البحثية تياراً بين العلماء المسلمين في الشرق والغرب يركز على الكشف عن (الإعجاز العلمي في القرآن). والحق أن بعض هؤلاء قد التزم أصول المنهج العلمي وضوابطه، بينما بالغ آخرون وغلوا غلوًّا كبيراً، حتى كأنهم قد تعاملوا مع القرآن الكريم بحسبانه كتابًا في علوم الطبيعة والكون، مع أن بوكاي نفسه كان على ذُكْر من أن القرآن- في الأساس- كتاب هداية دينية، وليس كتابًا في قوانين الطبيعة، وأن إشاراته إلى الطبيعة والكون كانت ترد في سياقات معينة، تتعلق بإبراز قدرة الله المطلقة وعلمه الواسع وحكمته البالغة، ولاحظ بوكاي أن بعض هذه الإشارات كان يسير الفهم قريب الإدراك، وكان بعضها لا يمكن معرفة حقيقته إلا إذا كان المرء يملك معارف علمية ضرورية[1].

(1) موريس بوكاي: الكتاب المقدس والقرآن ص 169.

قائمة بيبلوجرافية لمؤلفات الدكتور بوكاي الرئيسية

1- Maurice Bucaille, le bible, le coran et la scien ce, panis, 1976

وقد قوبل هذه الكتاب باهتمام بالغ في فرنسا خصوصًا وفي الغرب عمومًا، ثم في العالم العربي والإسلامي، وقد تُرجم إلى لغات عديدة، ووزعت منه ملايين النسخ شرقًا وغربًا، وقد نال الكتاب ظاهرة أو تيارًا علميًّا وفكريًّا جديدًا. وقد ترجمه مؤلفه بمشاركة زميل له إلى اللغة الإنجليزية بعنوان:

The Bible, the Quran, and Science. the Holy Scriptures Examined in the Light of Modern Knowledge (revised and expanded edition) , 1978

وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية ثلاث ترجمات على الأقل.

2- What Is the Origin of Man? the Answers of Science and the Holy Scriptures, translated from the french by Pannell and the auther, paris, 1984

وهو كتاب (ما أصل الإنسان في ضوء العلم والأسفار المقدسة) الذي ناقش، وجادل فيه تطورية دارون وأتباعها.

3- Les Momies des Pharaons et la Medecine, paris, 1987

وترجمه المؤلف مع شريكه pannell إلى الإنجليزية بعنوان:

Mummies of the Pharaohs, Modern Medicai Investigations, New York, 1995

والكتاب عبارة عن تقرير مفصل عن الفحوصات التي أجراها بوكاي مع فريقه الطبي لمومياوات الفراعنة في مصر وباريس. والكتاب لم يُترجم بعد إلى اللغة العربية، فيما أعلم.

وقد حصل موريس بوكاي 1987م على جائزة التاريخ التي تمنحها الأكاديمية الفرنسية عن هذا الكتاب الرائد في بابه.

4- وقد نشر بوكاي سنة 1989م كتابًا باللغة الفرنسية، بعنوان: تأملات في القرآن، بالاشتراك مع الأكاديمي التونسي البروفيسور محمد الطالبي بعنوان:
Reflexions sur le Qoran, Paris, Seghers. 1989

والكتاب لم يترجم إلى اللغة العربية.

5- Moses and Pharaoh ; the Hebrews in Egypt: Teaching of the holy Scriptures and history, Tokyo, media scope, 1994

عنوان الكتاب: موسى والفرعون، العبرانيون في مصر: تعاليم الأسفار المقدسة في ضوء التاريخ. وقد نشر في اليابان سنة 1994م، وهو آخر كتب موريس بوكاي، ولم يترجم إلى اللغة العربية، فيما أعلم.

6- محاضرته التي دُعِي لإلقائها في الأكاديمية الفرنسية للطب في 11/9/ 1976م بعنوان: معطيات قرآنية تتعلق بالفسيولوجيا وعلم الأجنة.

7- محاضرته في معهد الكومنولث في لندن، في يونيو 1978م، وقد نشرت في مجلة رابطة العالم الإسلامي في أغسطس 1979م بعنوان: القرآن والعلم الحديث The Quran and Modern Science

8- هذا إضافة إلى عشرات المؤتمرات العلمية التي شارك فيها بفاعلية، وعشرات الأحاديث التلفزيونية في الشرق والغرب، وبعضها متاح على اليوتيوب.

9- الأفلام التسجيلية Documentary Films التي تغطي إسهاماته العلمية؛ ومنها فيلم The Book of Signs، ويظهر فيه بوكاي متحدثًا عن نفسه وهو يجلس في مكتبة المتحف البريطاني. والفيلم منشور على اليوتيوب، وهو من إنتاج مؤسسة iipc.

10- الفيلم التسجيلي الذي أخرجه فاروق عبد العزيز عن (موريس والفرعون)، كما أنه نشر كتابًا بنفس العنوان، وأسس موقعًا على الشابكة لنشر تراث بوكاي: Bucaille' s legacy.com